روايات عبير

الأحبة الأعداء

جيسيكا ستيل

WWW.REWITY.COM
مرموزة

لا تستطيع عنبر أن تلوم دايسون سيلفر فعلاً لأخذه أدنى فكرة ممكنة عنها ؛ ففي الظروف التي قابلها فيها ، من يستطيع أن يلومه ؟ بعد كل شيء ، كيف يمكنه أن يعرف أن عنبر في تلك الليلة كانت ضائعة ووحيدة وخائفة أكثر من أي شيء في حياتها ، وكان سلوكها غير عادي . على أية حال، هي لم تفكر بأنها ستقابله ثانية. الأسطورة التعيسة أصبحت خلفها ولن تفكر بها من جديد. لكنها فعلاً التفت دايسون من جديد ـ ومرة اخرى سعت لتعطيه سبباً آخر ليحتقرها ولا يأتمنها! كيف يمكنها أن تكيّف الأشياء ؟

الفصل الأول

الفتاة الراقدة بهدوء في فراشها الضيق تململت ببطء من رقادها التخديري. لم تفاجأ عندما وجدت ممرضة تنحني فوقها. لقد حدث ذلك من قبل. هل كان ذلك بالأمس أو في اليوم الذي سبقه؟ لا يهم، لا شيء يهم أبداً.

«كيف تشعرين الآن؟».

«جيداً»، أجابت الفتاة.

لقد كان هذا هو جوابها الدائم. ماذا يهم ما فعله الألم المضني أحياناً في ظهرها وبقية جسمها، إذا ما قورن بالألم الذي يعتمل في قلبها؟ لماذا لم تمت مع والديها الحبيبين في ذلك اليوم الرهيب من إجازتهم؟ لم ينذرهم أحد بأن الكارثة ستقع عندما تدحرجوا على الجانب الصخري للجبل، اذا أصر والدها بأنهما لا يزالان لائقين بدنياً وقويين كأي شاب من الجيل الطالع. إن باستطاعتها أن ترى والدها يضحك كلما أحدث تصدعاً ما وهو يسبقها إلى النقطة التالية في عملية الاستكشاف، وتستطيع أن ترى الآن ضحكته وقد تبدلت إلى هلع مريع عند صوت فوقهم جعلهم جميعاً ينظرون إلى الأعلى ليروا شلالاً من الصخور

ينصب عليهم. اتسعت عيناها هلعاً عندما خطرت ببالها هذه الذكرى بكل وضوح.

«سأعطيك شيئاً ضد الألم» قالت لها بلطف الممرضة التي تقف إلى جانبها، قبل أن تهرع بحثاً عن الأخت.

كم مضى على رقودها هنا؟ ليست لدى عنبر أية فكرة، ولم تعد تهتم كثيراً لأي شيء. لقد عرفت بأنها لم تحرز التقدم المتوقع منها، عرفت بغموض، دون أن يخبرها أحد، أنها نقلت من المستشفى الذي أخذت إليه أولاً إلى هذا المستشفى في محاولة لجعلها تظهر بعض الاهتمام في العيش. لقد اخطأوا في اعتقادهم بأن نقلها إلى حيث يستطيع أصدقاؤها زيارتها بسهولة سيعجبها. لقد أرادت بأن تكون مع أمها وأبيها - أرادت أن تموت أيضاً. في هذه المدينة ولدت ونشأت، وهي تشتبه بأن لعمها جيمس يداً في نقلها إلى مستشفى هذه المدينة. ليس لأن عمها جيمس كان عمّاً حقيقياً، لكن نظراً لكونه طبيباً، فإنه كان صديق العائلة الدائم.

عادت الممرضة مع الأخت، وعادتا الى نغمة.

«كيف تشعرين؟» وعادت هي إلى جوابها الروتيني «جيداً».

«لا أستطيع أن أعطيك حقنة أخرى قبل أن يراك الطبيب» قالت الأخت بلطف. «لكنه يجب أن يكون هنا قريباً - وبعدها يمكنك أن تنامين نوماً مريحاً».

أدارت عنبر عينيها العسليتين المليئتين بالألم نحو الأخت وقالت بصوت ناعم «لا يهم».

كان كل شخص لطيفاً وصبوراً معها، وقد ندمت لأن عليها أن تبذل جهداً كبيراً كي تحاول لتعود إلى صحتها الجيدة من جديد. لكن لماذا تعود لصحتها الجيدة كانوا وحدة عائلية متكاملة، هي وأمها ووالدها.

لديها الكثير من المعارف، لكن ليس لديها صديقات عديدات من سنها. لقد كانت نكتة العائلة إذ أنها بلغت الثانية والعشرين من عمرها دون أن تظهر رغبة في ترك عش العائلة، إنها تستطيع الآن أن تسمع صوت والدها وهو يقول، «لقد جعلته مريحاً جداً لها يا سوزي - سوف لن يكون هناك مكان لنا». وجوابها، «ومن سيحضر لك الشاي في الصباح إذا لم أكن موجودة؟» ووالدها ينظر بأسف قبل أن يضمها ضمة تظهر أنه يحب زوجته وابنته أكثر من أي شيء في العالم. ثم ينتهر قائلاً «في تلك الحالة، من الأفضل أن تبقى». اضطربت أفكارها عندما ازداد الألم عند قاعدة عامودها الفقري - حاولت الاسترخاء، حاولت إبعاده عنها، لكن الألم اللعين لم يتلاش. أصرت على وجوب تركيز أفكارها على لا شيء آخر سوى مكان وجودها وإذا كانت لا ترغب في الألم فيتوجب عليها أن تبذل جهداً ما للتحسن والتخلص من وخزه المستمر.

عندما دخل المستشار الطبي الجناح الذي وضعت فيه، كانت عنبر تصرّ بأسنانها ضد الألم الحاد، ويداها تقبضان جانب السرير في جهد لكيلا تبكي.

ألقى السيد فيليبس نظرة عليها وبسرعة أمر الأخت التي كانت إلى جانبه باعداد حقنة، ثم التفت الى عنبر وسألها، «هل أنت أيضاً ستقولين لي بأنك تشعرين جيداً؟» وظهرت على وجهه المهذب الجاد ملامح ابتسامة وهو ينظر الى الفتاة الشاحبة الراقدة في السرير، عندما رنّ صوته في أذنيها.

«هل ستصدقني؟» أجابت عنبر باعياء. لو أن الأخت لم تظهر بتلك الحقنة بسرعة، كانت لديها فكرة بأنها ستبدأ بالصراخ سريعاً، لأنها شعرت بأن ظهرها على وشك أن ينقصم إلى قطعتين.

عندئذ بكل رحمة كانت الأخت هناك، وكانت قد أفرغت الحقنة في ذراعها، وبينما كان السيد فيليبس لا يزال معها، يسألها أسئلة بصوته الهادر، أسئلة كانت متأكدة بأنه كان قد سألها عشرات المرات من قبل، شعرت بأن الألم بدأ يتلاشى.

لم تكن لديها أية فكرة عن الفترة التي مكثها السيد فيليبس معها. كانت على دراية بفحصه، لكنها شعرت بألم طفيف حالما كانت أصابعه الرقيقة تجس أسفل ظهرها الممزق. عندئذ كانت الممرضة المساعدة تبدل الأغطية وتقول، «هل ذلك يبدو مريحاً؟».

«نعم، أشكرك»، تمتمت عنبر، وقد بدأ جفناها يذبلان. عرفت بأنها ستنام، لكنها فتحت عينيها حالما اختفى الثلاثة عن ناظريها وحاصروها مرة أخرى خلف الستائر.

لم تستطع أن تتخيل للحظة السبب في وجود تلك الستائر هناك. هذه الستائر لم تكن هناك بالأمس، وهي تعلم بأنها المريضة الوحيدة في هذا الجناح. وبنعاس اعتقدت بأنها ربما كانت أحدى الاعيب السيد فيليبس الذي يصر على وضع الستائر حيثما ذهب. لقد أخبرها العم جيمس في احدى زياراته أن السيد فيليبس هو أفضل رجل في ميدانه، فلا عجب اذا لوحظت غرائبه البسيطة بدون سؤال. أغمضت عنبر عينيها من جديد.

«إنها بشكل رديء جداً» سمعت صوت السيد فيليبس من خلف الستائر، وعرفت أنه يتحدث عنها. عندئذ أضافت الأخت شيئا ما، مع أن صوتها كان أهدأ بكثير.

الشيء التالي الذي قاله السيد فيليبس جعل عيني عنبر تتسعان، والنوم الذي اقترب قد ولّى. «اتركوها في هذا الجناح، أيتها الأخت، مع أنني متخوف جداً بأنها لن تمكث معنا طويلاً - اذا بقيت هي على

هذه الحال فإنها لن تعيش أكثر من ستة أشهر».

لا شك بأنه كان يتحدث عنها، فهي الشخص الوحيد في هذا الجناح الصغير. وفجأة، حالما صرخت كلمات المستشار الطبي في دماغها، عرفت عنبر بأنها لا تريد أن تموت مثلما اعتقدت قبل دقائق، إنها تريد أن تعيش. يا إلهي، إنه لا يمكن أن يعنيني، هكذا اعتقدت، حالما جملته المميتة بستة أشهر تردد صداها وراح يتردد في دماغها مقاوماً آثار الحقنة التي تناولتها. أريد أن أعيش.

كان للمعالجة أثرها عندما غادر السيد فيليبس الجناح، والأخت، القت نظرة من خلف الستائر، وشاهدت أن عنبر، الفتاة التي يكافحون جميعاً لابقائها على قدميها، كانت تغطو في نوم عميق.

استيقظت عنبر لتجد أن الستائر لم تعد حولها. تذكرت في الحال الكلمات الأخيرة التي سمعت السيد فيليبس يقولها، حالما جالت ببصرها حول الغرفة الصغيرة، أن السرير الآخر الوحيد هناك كان خالياً كما كان دائماً، وأنه كان يتحدث عنها. أصابها هلع لم تشعر به من قبل، ولأول مرة منذ إدخالها إلى المستشفى وضعت أصابعها على الزر ورنت الجرس للممرضة. إنها لا تريد أن تكون لوحدها.

كانت الدموع تجول في عينيها عندما حضرت الممرضة مسرعة لترى ما تريد، لكن عنبر لم تستطع أن تقول لها ما الذي يزعجها. كانت في الثانية والعشرين وتريد أن تعيش. اعتقدت أنها لو قالت ذلك بصوت عال فستصبح في حالة هستيرية.

«هل الألم شديد؟» سألتها الممرضة بعطف، وهي تمسح دموع عنبر بمنديل من خزانتها. «اننا لا نستطيع اعطائك حقنة أخرى، يا عزيزتي، لأنه لم يمض وقت طويل على الحقنة الأخيرة.

«ليس الأمر كذلك»، قالت عنبر وهي تبكي.

«ما الأمر إذن؟»، سألتها الممرضة جونز بنعومة. أمسكت بيد عنبر التي ضغطت عليها بشدة. «تعالي، يمكنك أن تخبريني»، قالت لها بلطف، وعندما لم تستطع عنبر أن تخبرها، «إنه موضوع أبويك! أليس كذلك؟» خمّنت الممرضة، معتقدة أن الفتاة الباكية تبكي على والديها، مكثت الممرضة جونز مع عنبر قدر ما استطاعت، وعبر الأسابيع القليلة التالية كرست كل خبرتها واهتمامها لجعل عنبر تقف على قدميها من جديد.

أما من جهة عنبر فان تلك الأسابيع كثيراً ما كانت مؤلمة. لكن الألم الجسدي خفّ، ومع أنها بدأت تعاني من كوابيس مخيفة، بدأت تتكيف مع فقد والديها. لكنها لم تستطع أن تتكيف مع معرفة أنها ستنضم إليهما قبل نهاية الستة أشهر القادمة، كانت تصاب بالهلع في كل مرة يخطر ببالها التفكير، لكنها لم تستطع أن تقنع أي شخص بأن سمعت السيد فيليبس يقول ذلك.

في نهاية الأسابيع الثلاثة أعلموها أن باستطاعتها الذهاب إلى البيت. إنهم يرسلونني الى البيت لكي أموت، هكذا اعتقدت، وحاولت أن تكون شجاعة، لكنها عرفت بأنها لم تكن شجاعة بتاتاً، مع أنها حافظت على عدم إظهار مشاعرها عندما حضر السيد فيليبس لرؤيتها للمرة الأخيرة.

«لقد شفيت تماماً»، قال لها، وجعلته يعتقد بأنها قد صدقته، وكان وجهها خالياً من أي تعبير وهي تصغي له. «لقد كانت لنا مناقشة حادة معك، ايتها السيدة الصغيرة، فلا تقومي بأي عمل أحمق وتفسدي كل عملنا الجيد».

«لن أفعل» أكدت له عنبر، معتقدة بما أنه لا يستطيع ان يطلعها على الحقيقة، فانها قد تلعب اللعبة كذلك بطريقته.

«عليك أن تأخذي الأشياء ببساطة لمدة ستة أشهر على الأقل» كان يقول لها. فكرت، ستة أشهر، وحاولت أن لا تهلع من جديد بأن ما كان يقوله لها كان بأ[illegible]ة أشهر هي كل ما تبقى لديها. «ان عامودك الفقري كان مرضوض بشكل رديء تحت سقطة تلك الصخرة» واصل حديثه «وأنت لم تساعدي بتاتاً نتيجة محاولة الكفاح للخروج والوصول إلى والديك، وقد أعطيناك دماً، وفيما عدا آثار الغرزات التي قلما تظهر مع الوقت، فان الندوب من الجروح الأخرى ستختفي تماماً». ابتسم لها كأنه اعتقد أن الغرور كان القلق الوحيد الذي يجول في ذهنها في تلك اللحظة.

«أشكرك» قالت عنبر، لأنها لا تعلم شيئاً آخر يتوقع أن تقوله.

«الطريقة المثلى التي يمكنك أن تشكريني بها هي أن تتبعي نصيحتي. لا ترتكبي أية حماقة. الرفع أو الحمل ممنوعان. الوقوف كثيراً ممنوع. عاملي جسمك بلطف لمدة ستة أشهر»، قال لها وهو يبتسم ثانية.

شكرته عنبر من جديد، وقبل أن تغادر المستشفى ذهبت وشكرت شخصياً كل الممرضات اللواتي اهتممن بها، وبصورة خاصة الممرضة كارول جونز. نقلها جيمس كريسويل وأعادها إلى المكان الذي شاهدته آخر مرة قبل أن تغادر في إجازة مع والديها.

«ها نحن هنا. لا أريدك يا عنبر أن تكوني لوحدك. هل أنت واثقة بأنك لا تريدين الحضور والبقاء معي؟ هناك مكان كثير وأنت تعلمين أن السيدة باغيت تحب أن يكون معها شخص ما لتتجادل معه». نظر بحب إلى الفتاة الشابة المحبوبة التي كان يحبها كابنة.

«لا، يا عم جيمس. إنني أقدّر عرضك»، قالت له عنبر بابتسامة، «لكن - لكن عليّ أن أتكيف لبعض الوقت على العيش بدون الماما

والبابا ومن الأفضل أن أبدأ الآن». حتى إلى العم جيمس، لم تستطع أن تكشف ما يجب أن يعرفه أيضاً كحارس لها. ان من المفروض على المستشفى أن يضعه في الصورة. اعتقدت في سرّها أن السيدة باغيت، مدبرة منزله، لديها ما يكفي للاهتمام به في منزل طبيب، مثل تلقّي المخابرات الهاتفية العديدة، علاوة على مهماتها الأخرى، بدون أن يكون بين يديها مريضة في طور النقاهة.

أصرّ جيمس كريسويل على حمل شنطتها إلى غرفتها. «ممنوع الرفع» راح يذكرها، عندما قالت أن باستطاعتها حملها بنفسها. مكث وتناول معها فنجاناً من القهوة، وفجأة لم ترغب في البقاء لوحدها. كتمت شعورها المتزايد بالضجر، خاصة وأنها تعرف ما يتطلبه عمل العم جيمس، وأن من الاجحاف ابقاءه معها.

«سأعطيك وصفة لقتل المزيد من الألم»، قال قبل أن ينهض للذهاب. «هذه هي التي اعطاك اياها المستشفى ولن تدوم طويلاً - تذكري الآن» قال مازحاً «لا شرب ولا قيادة سيارة وأنت تتناولينها!».

ابتسمت له عنبر لأن ذلك ما توقعه منها. لم تقم بقيادة سيارة ونادراً ما شربت.

«لن أفعل»، وعدته قائلة.

«سأزورك من حين لآخر، لكن تعالي وقابليني في العيادة إذا كنت قلقة حول شيء ما».

شاهدت نظرته اليها، واغتصبت ابتسامة وقالت له «سأكون على ما يرام الآن».

لكنها لم تكن على ما يرام. حاولت أن تدفنه في أعماقها، لكن الذي أضيف إلى ضجرها، كان فراغ البيت بدون والديها. دخلت إلى غرفتها في اليوم الذي جاءت فيه الى البيت ودفنت مشاعرها في الحزن

الذي غمرها، وجلست فقط على السرير حيث كانت تحييهما كل صباح عند شرب الشاي، وبكت حتى لم تستطع البكاء أكثر.

بعد مرور أسبوع على خروجها من المستشفى عرفت أنها اذا لم تفعل شيئاً حول الهلع والانحطاط المتناوبان اللذان يعيشان معها فإنها ستنتهي قبل نهاية الستة أشهر. وفي وهن كامل توصلت الى حل مع نفسها. عمرها اثنان وعشرون عاماً، فتاة عادية ذات ذكاء متوسط، هكذا اعتقدت. كانت جيدة في عملها مع شركة المحامين حيث عملت كسكرتيرة، لكنها عرفت من طريقة مواظبتها على تناول الأدوية القاتلة للألم أن تمضية اليوم جالسة الى آلة الطباعة سيجعلها تنام على ظهرها لمدة أسبوع - حتى لو أن العم جيمس سمح لها بالعودة الى العمل، وهي تعلم بأنه لن يفعل. لكن أين هي ومن تكون؟ مغلفة في شرنقة كما كانت في حب والديها، الوحدة العائلية المحببة، فانها لم تعرف شيئاً عن العالم الخارجي. كان لها بعض الأصدقاء العرضيين، لكن لا أحد فيهم حرّك مشاعرها وجعلها ترغب في الخروج معه بحماس. لكنها لا تستطيع البقاء هكذا، فعمرها اثنان وعشرون عاماً، وفي خلال ستة أشهر ستكون ميتة. انتابها الرعب من جديد. ميتة، وهي بعد لم تبدأ العيش. سيطرت على هلعها، وقاومت لابعاده من ذهنها. هل ستستقبله وهي ممددة؟ ألم يعد لديها المزيد من عظمة الظهر أكثر من الجلوس في البيت وانتظاره؟

وقفت على قدميها، وهي مستعدة لمقاومة القدر. لم تكن متأكدة ماذا كانت تفعل، لكنها تأكدت فجأة بأنها لن تستسلم. إنها ستحشو دماغها قدر ما تستطيع لتعيش الستة أشهر. التقطت معطفها وخرجت مسرعة من البيت. لم تكن لديها أية فكرة أين كانت ذاهبة في البداية،

لكن كان هناك شيء أكيد، إنها لا تنوي الجلوس في البيت وتنتظر الموت ليدعوها.

انزلها الباص قرب وسط المدينة، واليوم بدلاً من الاتجاه نحو الكاتدرائية كما فعلت بالأمس، أدارت قدميها باتجاه مقهى يتجمع فيه عدد من معارفها. الشعور بالأمان الذي كان يعتريها حال دخولها الكاتدرائية لم يدم حال خروجها، لذلك فانها ستحاول ايجاد الأمان من أفكارها مع بعض الآخرين في مجموعة عمرها.

لكن بعد تناول كوبين من القهوة ولم تشاهد أحداً ممن تعرفهم، أدركت حماقتها فجميعهم في العمل في هذا الوقت من النهار. كانت عنبر على وشك المغادرة عندما دخلت المقهى فتاة لا تعرفها.

شاهدتها سالي سميث رأساً، ونظرت حولها كما فعلت عنبر لترى إذا كان هناك شخص آخر هناك تعرفه، ولما شاهدت بأنه لا يوجد أحد تعرفه سوى عنبر، جاءت وأخذت مقعداً قبالتها.

«ألا تعملين؟» سألتها سالي، وهي تنظر حولها إلى شخص ما ليتلقى طلبها.

«لقد تخلصت من المرض هذه اللحظة».

«أوه نعم، آسفة، لقد نسيت ـ لقد اخبرتني ليندا آرثر بأنها كانت تزورك في المستشفى. هل تحسنت؟».

«نعم. شكراً»، أجابت عنبر، وهي لا تريد التحدث عن نفسها، وسألت سالي إذا كانت تعمل.

«أعمالاً مؤقتة في هذه اللحظة».

«شيء مضجر، أليس كذلك؟» اعتقدت عنبر.

«هذا يتوقف على ما تفعلينه في وقت فراغك» ردت سالي. «لا يمكنك أن تقولي بأنني ضجرة، هناك دوماً شيء ما يعمل في مكان

ما». ثم توقفت لتطلب قهوتها، ونظراً لأن كوبها كان فارغاً وعلى الأقل فان سالي شخص يمكن التحدث معه، طلبت عنبر كوباً آخر لا تريده. تابعت سالي حديثها قائلة «هناك المزيد من الحياة هنا اذا عرفت أين تبحثين عنه» ثم اعطتها ابتسامة العارفة.

لم تكن سالي سميث صديقة مقربة بصورة خاصة بالنسبة لعنبر، لكن نظراً لمعرفتها بمكامن الحياة، فقد حازت على اهتمام عنبر. لقد بدت سالي تتمخطر في الحياة بدون مبالاة، فلماذا لا تفعل هي نفس الشيء؟ حتى الآن، وهي بلا عمل، بدت سالي غير مكترثة بالعالم، وعرفت عنبر، عندما تذكرت بأن سالي تعيش في شقة لوحدها، أن الإيجار يجب تأمينه من مكان ما.

«أين يمكن للمرء أن يبحث عن كل هذه الحياة؟» سألتها، وهي تلتقط نظرة سالي الفاحصة عليها.

عادت عنبر تقول لها وهي متشوقة الآن لأي شيء قد تثيرها به سالي «انني أشعر بنزوة قليلة هذه اللحظة». قالت سالي «ليس لدي ترتيب لأي شيء الليلة ـ تعالي الى المدينة في حوالي الثامنة اذا أحببت ـ وسنحبو كالجراء.

عنبر لم تحبو كالجرو في حياتها، لكن لأنها بدأت تستعد تلك الليلة للقاء سالي في الفندق الذي ذكرته، اعتقدت بأن أي شيء سيكون أفضل من البقاء في البيت بانتظار الأشهر لكي تزحف.

كانت تجربة جديدة لها لتدخل بار فندق وحدها. كان البار مزدحماً وسالي لم تحضر بعد. شاهدت عنبر البارمان ينظر اليها، عرفت أنها وضعت المزيد من أحمر الشفاه، في محاولة كيلا تحط من قدر سالي التي كانت متحررة تماماً بمكياجها. نظر اليها البارمان مستغرباً، فرفعت رأسها قليلاً وذهبت الى البار وطلبت ويسكي.

«مع ماء» سألها مستعلماً.

«لا ـ كما هو» قالت له، وهي تتعجب مما فعلته الآن لحين مجيء سالي. نظرت حولها بحثاً عن مقعد ولاحظت كرس بار فارغاً على بعد خطوات. لم يكن لكرسي البار ظهر، وهي بحاجة الى المسند الذي يؤمنه لها الكرسي، لكن ماذا يهم، لقد تناولت الدواء الذي يقتل الألم وبامكانها تناول المزيد منه لدى عودتها الى البيت اذا بدأ ظهرها بالاحتجاج.

اقتربت من كرسي البار، شاهد بأن هناك كرسياً آخر شاغراً بعده؛ حسناً، سيكون هذا لسالي عندما تأتي. ان عملية تسلق كرسي البار كان جديداً بالنسبة اليها، وأجفلت عندما لم تتمكن في المرة الأولى وانزلقت حتى لامست قدماها الأرض.

«هل تريدين بعض المساعدة؟» سألها صوت عميق فوق أذنها، ونظرت الى اعلى وهي تغمز، وبدون مزيد من الضجة نزل الرجل الطويل الداكن الشعر عن كرسيه، وأمسكها حول خصرها وبدون جهد رفعها على الكرسي.

«أشكرك» تمتمت، غير سعيدة بالطريقة التي كشفت عن ركبتيها، لكن الألم المؤقت نتيجة الحركة المفاجئة جعلها ترغب في القيام بأي عمل تجاهه.

وصل كأس الويسكي الخاص بها، والرجل الذي أجلسها على كرسيها وجّه اهتمامه الى مشروبه أمامه. قامت عنبر بتجربة مصة اختبارية من كأسها، دون أن تفكر كثيراً به، لكن نظراً لأنها ذاقت الطعم الرديء للدواء في المستشفى فقد اعتقدت أن بامكانها انهائه.

أين كانت سالي؟ تمنت لو أنها تسرع في المجيء إلى هنا. جالت بعينيها، ولما شعرت كأن كل شخص ينظر اليها، أدارت عينيها بسرعة

الى كأسها حالما شاهدت رجل البار يلقي عليها ما يمكن أن يوصف فقط بالنظرة العارفة وفي حيرة من أمرها الآن حول نسيان كل شيء حول تخطيط حبو الجرو، الشعور بالهلع الذي كان الآن مألوفاً لها عصف بكيانها، ونظرت الى الرجل الذي على الكرسي التالي لكرسيها، تريد شخصاً ما تتحدث اليه ـ دون أن يهمها من هو، فأي شخص سيساعدها على التخلص من هذه اللحظات التي لا تحتمل.

شاهدته ينظر في كأسه بكآبة، ووجهه عابس. لم تدري ما الذي يعتريه، ولم تكترث. إنه لن يموت قبل انقضاء ستة أشهر، وهمومه تعتبر لا شيء إذا ما قورنت... ابتلعت شعورها بالرغبة في الصراخ، وانفجرت في همهمة هشة، أي شيء لابقاء أفكارها في مكانها.

«في صحتك» قالت هي، وعندما ادار رأسه لينظر اليها كأنها ظهرت لتوها من كوكب آخر. «بكل تأكيد، لا يمكن أن تكون الأمور بهذا السوء». اعتقدت بأنه سيعيد اهتمامه للتأمل في كأسه، وبدا أنه على استعداد لتجاهلها. «الشمس ما زالت ستشرق لك غداً» أضافت تقول بسرعة، وهي تغتصب ابتسامة كلفتها غالياً، حالما أبعدت عنها التفكير بأنه لم يبق لها العديد من الأيام المشرقة.

ألقى الرجل عليها نظرة طويلة، مستوية وهو يسأل، «هل تعتقدين؟».

«انني دائماً أفعل ذلك»، أجابت وهي مسرورة لأنه لم يتجاهلها. لو أنها تستطيع فقط ابقاء الحديث معه مستمراً حتى تصل سالي الى هنا! إن أي شيء هو أفضل من أفكارها الخاصة. «انني لم أشاهدك هنا من قبل، فهل هذا صحيح؟» سألته عنبر. انها هي التي لم تكن هنا من قبل، لكنه لا يعرف ذلك.

تجاهل سؤالها ونظر الى كأسها قائلاً «هل تريدين كأساً أخر» وغمز بعينيه، وكانت نظرته ازدرائية.

شعرت عنبر بنوع مختلف من الهلع حالما أدركت أنه اعتقد بأنها تحاوره ليشتري لها كأساً، فأجابته بقولها «ليس في هذه اللحظة». ادارت وجهها بعيداً عنه كيلا يلاحظ مرضها. عندئذ توقد الغضب في أعماقها، وادارت جسمها لتلقي نظرة نحو الباب لرؤية أية اشارة تنبيء بقدوم سالي. حركتها هذه جعلتها تشعر بوخزة ألم في ظهرها.

«ربما تريد أن تشتري لي تلك الكأس فيما بعد؟» سمعت نفسها تقول له. كان لكلماتها الأثر الذي جعل الرجل يدير رأسه في اتجاهها. وافق قائلاً لها «ربما»، ثم بوجهه المدرك سألها «كم عمرك؟».

«فوق سن القبول»، أجابت عنبر، وهي تفكر ما الذي يهم على أية حال. إنها تريد اختباراً جديداً، أليس كذلك؟ مع أن هذا الرجل بدا كأن لا شيء جديد بالنسبة إليه ليختبره.

«من نظرتك، أنت على استعداد للقبول» أجاب بفظاظة، وأدار رأسه بعيداً، ففرحت لأنها لا تريده أن يرى الاحمرار المميت الذي لون خديها بفعل كلماته.

«لا أحد من قبل اشتكى من ذلك». يا إلهي، ما هذا الذي تقوله هي؟ كانت لديها فكرة بأن هذا الحديث الهش قد تعمق كثيراً. إنه سيقول شيئاً ما في أية لحظة وليس لديها أي دليل عن الذي يتحدث عنه.

قال لها ببطء «انني لا أشتكي من شيء، فالفتيات من أمثالك لديهن منفعتهن».

لم تكن من قبل متأكدة مما يعنيه. تململت على كرسيها، والألم في

أسفل عامودها الفقري يقول لها بأنه يتوجب عليها أن تجد كرسياً بمسند لتريح ظهرها عليه.

«هل انت كثيراً ما تستخدم فتيات مثلي؟» لم تقصد أن تقول له أي شيء أكثر من ذلك. إنه خارج تجربتها، لكن وخز الألم كان كافياً ليذكرها بأن اندفاعها المستقبلي محدود.

«إنني لم أدفع لتلك الأنواع من المتعة» قال ببرود.

«من طلب منك ذلك؟» والتهب وجهها، وهي لا تدري ما الذي جعلها تلتصق بكرسيها، ثم أنكرت ذلك التفكير. انها تعلم فعلاً. هي بحاجة لشخص ما ليبعد عقلها عن أفكارها، ومع أن حديثه كان مقرفاً فهو على الأقل آدمي آخر.

«هل تقدمين نفسك بدون مقابل؟» سألها بجفاء.

«انني لا أقدم نفسي على أية حال» قالت، وهي تتمنى لو انها لم تقل ذلك، لأنه الآن سيفقد اهتمامه الضئيل بها، وستترك عرضه لأفكارها الرهيبة.

«هل خرجت فقط للاغاظة؟» سألها على غير انتظار.

«لقد اخترت الرجل الخطأ، يا صغيرتي». وضع كأسه الفارغ على البار، واعتقدت بأنه سيغادر في أية لحظة.

«لا تذهب» قالت له بيأس، واعتقدت أن شيئاً ما في صوتها دخل الى أعماقه، فبدلاً من أن يقف ويبتعد عنها، أعاد قدمه التي نزلت الى الأرض على كرسي البار.

«هل يمكنك أن تعطيني سبباً معقولاً كيلا أذهب؟».

«حقاً لا» ونظرت عنبر في كأسها. إنها لا تستطيع أن تخبر أي شخص تعرفه عن حاجتها لرفقة، ولم تكن على وشك البدء مع غريب. «انني متضايقة قليلاً الآن مع نفسي. أنا... أنا فقط...

اعتقدت أنه قد. . .» تلعثم صوتها. لم تنظر اليه، لكنها عرفت أن توسلاتها له بالبقاء قد مرت بدون اكتراث. ثم فوجئت عند النظر اليه تسمعه يقول؛

«إن لدي ما يكفيني من مشاكلي الخاصة، ولا حاجة لي لسماع مشاكلك، لكن نظراً لأنني متضايق أيضاً. . .» ونظر الى كأسها وقال لها «هل أنت مستعدة الآن لتلك الكأس؟».

«لا» وابتسمت، مسرورة لبقائه. «هل تعيش قريباً من هنا؟» سألته وهي تريد التحدث، لكنها لا تدري ما يقوله المرء في هذا الوضع الغريب فقد وجدت نفسها منغمسة فيه. تأكدت فجأة بأن سالي لن تأتي الآن، لأنه مضى على جلوسها هنا أكثر من نصف ساعة.

«انني أعيش غير بعيد من هنا» قال، دون أن يخبرها أين، وأدركت عندئذ أنهما مهما تحدثا حتى يحين موعد ذهابها، يأب أن لا يسمح بادخال شيء ذو طبيعة شخصية في حديثهما. أخذت جرعة أخرى من كأسها.

«أنت إذن لا تقيم في هذا الفندق؟» سألته بذكاء عندما مرت لحظات دون أن يتحدث أحدهما عن شيء.

«في الواقع، لهذا المساء فقط».

«أوه». الصوت الصغير هرب منها. ثم عاد عقلها الى ما قاله حول مشاكله الخاصة. لقد قال لها بأنه يقيم غير بعيد من هنا، فلماذا اذن يقيم هذه الليلة في الفندق؟ لم تجد جواباً لذلك، وأخذت جرعة أخرى من كأسها، وهي تخفي قشعريرة سرت في جسمها. ربما كان متزوجاً، خطرت لها هذه الفكرة فجأة، وألقت نظرة خاطفة على يديه لترى بأنهما خاليتين من الخواتم، مع أن ذلك لا يعني الكثير. ربما تخاصم مع زوجته؟ احساسها بالحشمة هدد بالتغلب على حاجتها له

ليكون معها، لكن ليس هناك من ضرر في الجلوس هنا والتحدث معه.

«إن كأسك قد فرغ تقريباً. لقد لاحظت بأنك تتململين على ذلك الكرسي. ما رأيك في أن تأخذي الكأس التي وعدتك بها في غرفتي المريحة؟».

عندئذ عرفت عنبر تماماً ما كان يطلبه. لو أنها ذهبت معه الى غرفته، فان ذلك يمكن أن ينتهي فقط بطريقة واحدة. إن اشارته لها بأنها تتململ على كرسيها لا تعني بأنه يعرف أن ذلك كان بسبب الوخز في ظهرها. لماذا يجب أن لا تذهب معه الى غرفته؟ معها أو بدونها سيذهب قريباً، وهي لا تريد أن تترك لوحدها. قاومت الخوف الذي كان يجول في خاطرها، وأجبرت نفسها لكي تتذكر بأنها في الثانية والعشرين ولم تذق بعد طعم الحياة، لكن في الجزء العلوي من عقلها كان التفكير و أنها ذهبت معه فلن تكون وحيدة.

«هل أنت متزوج؟» انفجرت قائلة.

نظر اليها مندهشاً، كأنه لم يعتقد بأنها النوع من الفتاة التي لديها شكوك. «لا» قال بعد دراستها لثانية أو اثنتين. «أنا لست متزوجاً». ثم توقف. إن القرار كله الآن لها، وهي تعرف نوعاً ما بأن لن يضغط عليها.

«ربما ستكون غرفتك مريحة أكثر» وجدت نفسها توافق، وأسدلت الستار على عقلها عندما نزلت عن كرسيها بمساعدته، شعرت بأن كل العيون تلاحقها حالما غادرت البار بصحبته.

الفصل الثاني

شعرت عنبر ببرودة في قدميها قبل أن يتوقف المصعد عند الطابق الذي تقع فيه غرفته. ما الذي تفعله هنا؟ رأت صورة والديها تومض في ذهنها ووقفت مسمرة في موضعها حالما فتح باب المصعد وخطا الرجل خارجه بانتظار أن تنضم اليه.

«من هنا»، قال لها عندما أجبرت نفسها على السير خارج المصعد.

سارت معه بصمت، وهي تبعد أفكارها عن الصورة التي تذكرها بوالدتها ووالدها، بعيداً عن الحب الذي كان يربط ثلاثتهم، وهي تعلم بأنه لا عودة الى الوراء. إنها ترغب في دفء علاقة غرامية، وبلعت ريقها بعصبية حالما فتح الرجل باب غرفته وأشار اليها بالدخول. لن يكون هناك حب يمر بينهما، عرفت ذلك بالتأكيد، وصلت إلى ربها ليكون لطيفاً معها. هناك فتيات أخريات يفعلن هذا الشيء، فقط هي لم تفعل. وجدت بعض الراحة لأن هذه الليلة ستقضيها بعيدة عن كوابيس بيتها الموحش، عندما تستيقظ ستجد شخصاً ما معها، ولن تكون وحيدة.

بلعت ريقها ثانية عندما دخلت الغرفة، التي تبدو محكومة بسرير مزدوج كبير. أوه يا الهي! أدارت رأسها بعيداً عن السرير، وقد لاحظت

أن في الغرفة كرسيين سهلين وكل كرسي بذراعين خشبيين.

«أريد الذهاب الى الحمام»، قالت بسرعة.

«عبر ذلك الباب»، أجابها مضيفها بسهولة.

تركته الى حيث أشار اليها، وأوصدت باب الحمام خلفها.

ليس فقط ظهرها هو الذي كان يتلاعب بها، لكن رأسها كان يعصف أيضاً. فتحت محفظتها، وأخذت حبتين من الحبوب علماً بأن من المفروض أن تتناولهما بعد ساعتين. عندئذ خافت من الأفكار التي بدأت تتخذ شكلاً في عقلها من جديد، انها بحاجة الى اتصال بشري، وبسرعة أغلقت محفظتها ودخلت الى الغرفة الأخرى.

السرير ما زال يخيمن على الغرفة وقد فرحت عندما سمعت الرجل يقول لها، «تعالي واجلسي»، مما اعطاها إشارة عادلة بأنه لا ينوي أن يأخذها الى السرير مباشرة.

فرحت بذلك، وهي تجلس قبالته في أحد الكرسيين. فرحت لأنه كان أكثر رقة، ولم يكن من النوع المغتصب.

«نسيت أن أسألك عن اسمك» قالها بسهولة وبأعصاب هادئة.

«اسمي ب ـ بوني» قالت، وهي تعلم بأنه يدرك بأنها كانت تكذب، لكنها فجأة أرادت أن تظل مجهولة.

رأت لأول مرة ابتسامة رضا صغيرة تظهر على وجهه. هذه الابتسامة جعلتها تشعر بهدوء أكثر، وشعرت أن أطراف أعصابها أخذت تسترخي. لقد بدا مختلفاً عندما ابتسم، وأصغر نوعاً ما، في حوالي الرابعة أو الخامسة والثلاثين من العمر.

«انني لا أعرف اسمك أيضاً» قالت، وهي تبتسم أيضاً عندما قال؛

«حسناً يا بوني، ما رأيك باسم وولف؟».

«كيف حالك يا سيد وولف؟» قالت، وقد اختفت ابتسامتها عندما

وقف وترك كرسيه. أوه يا إلهي، انه سيغتصبني على أية حال. لكنه لم يفعل، وتنفست بعمق عندما تجاوز كرسيها وسمعت قرقعة زجاج.

«عندي هنا ويسكي فقط، لكنني أستطيع أن أرسل في طلب شيء آخر إذا كنت تفضلين...؟»

«الويسكي سيكون جميلاً». الليموناضة بالنسبة اليها أفضل، لكنها لا تريد أن تعمل ضوضاء.

وقف أمامها وناولها كأساً فيه كمية من الويسكي وقال، «هذا لك، يا بوني».

«في صحتك»، أجابت بشجاعة لم تشعر بها.

بدا بأنه ليس في عجلة من أمره، لكنه جلس ينظر إليها نظرة فاحصة، ثم قال فجأة» تبدين مختلفة عما كنت تحت»..

«مختلفة؟» قالتها عنبر بنغمة رقيقة. انها لا تريد أن تعود الى البيت لتنام وحيدة اذا كانت لديه أفكاراً أخرى عنها. ثم قالت له «مختلفة كيف؟».

«إنك لست قاسية مثلما اعتقدتك في البداية» قال ببطء، ثم بصوت جاد، «أخبريني، هل تقومين بهذا النوع من العمل كثيراً؟».

«هل تعني الصعود للشرب مع رجل في غرفة نومه في الفندق؟» واتجهت عيناها الى السرير، وبينما كانت تراقبه رأت عينيه تلاحقان نظرتها الى الفراش. لكي تخفي عصبيتها أخذت جرعة أخرى من كأسها. «انها ليست المرة الأولى»، كذبت عليه، وهي تعلم أنه سيعرف أنها كذبت عندما ينام معها في ذلك السرير، لكنها كانت يائسة خوفاً من أن يطردها إذا اكتشف أنها امرأة غير خبيرة في الفراش.

«تعالي الى هنا» قال بصورة مفاجئة.

«لم أنته من مأسي بعد»، وعادت بسرعة، وهي تعجب الى متى

يمكنها أن تؤخر تلك اللحظة. «لا أعتقد بأنك من النوع المغتصب».

قال لها، «انني لست في عجلة من أمري. خذي وقتك مع كأسك».

شعرت بالراحة، وأدارت رأسها لتبتسم له. حولت عينيها بعيداً عنه، نظرت الى السرير، إنه يسبح أمام عينيها. هل هي سكرانة؟ لم تعتقد ذلك. هل ستموت هنا في هذه الغرفة؟ أليس أمامها ستة أشهر؟ وقفت بسرعة، ان الغرفة تدور من حولها.

«ما القضية؟».

جاءها صوته من مكان قريب، وعرفت أنه غادر كرسيه وكان واقفاً قربها. ولما كانت بحاجة لراحة الاتصال الجسدي، استدارت، وتقدمت نحوه. وبطريقة غريزية وضعت رأسها عليه، فغمرها الأمان من قوته.

عندما شعر بأنها لا تريد أن تقول شيئاً، عاد يسأل، «ما القضية؟».

«لا شيء...» بدأت تقول، ولكي يكون الأمر واضحاً له بأن هناك شيئاً، أردفت تقول متوسلة «فقط ضمني ـ أحبيني».

«لقد خطر ببالي القيام بشيء من هذا القبيل» قال ببساطة. «لكن أمامنا الليل بطوله، وأعتقد أنني سأقدرك أكثر لو كنت واعية».

إنها لم تقصد أنها تريد أن يعاشرها بتلك الطريقة، لكن الذي تتوقعه من غريب، تلاعبت به منذ أن وقع نظرها عليه، أن يعرف أن الحب الذي تسعى اليه هو الحب الذي فقدته بعد أن أصبحت يتيمة. «انني لست سكرانة» قالت منكرة، ثم اردفت تقول بسرعة «لقد ذهبت الى طبيب الأسنان بعد ظهر اليوم، وآثار حقنة مضاداً اليها الويسكي جعلوني أشعر بدوار في هذه اللحظة، لكنني الآن بخير، بصدق أنا بخير».

«في هذه الحالة...» شعرت برأسه يدنو منها وعرفت بأنه سيقبلها.

«هل تسمح لي بالذهاب الى الحمام أولاً؟» قالت بسرعة مع ازدياد هلعها. «أان فمي يثير الاشمئزاز بعد طبيب الأسنان، وأريد استخدام فرشاة أسنانك اذا أمكن».

شعرت بسخونة في رأسها عندما ذهبت الى الحمام، ووضعت يدها عليه فوجدت أن جبهتها رطبة. أصابها شعور مفاجيء بالخوف من الأماكن المغلقة، وبدت الغرفة الصغيرة البيضاء مزدحمة أمامها وعرفت أن عليها دخول الغرفة الأخرى قبل أن تصاب بالاغماء.

أدركت أن الرجل الذي عرفته باسم وولف يتجه نحوها حالما خرجت من الحمام. الاسم وولف جعلها ترغب في الضحك.

«ها أنا يا عزيزي وولف»، قالت بصوت لا يبدو كصوتها. «صغيرتك بوني مستعدة وهي بانتظارك».

تأرجحت الغرفة بقوة، واعتقدت بأنها ستقع على الأرض. شعرت بذراعين قويين يطوقانها، ومن بعيد سمعته يقول، «ها أنت حقاً، يا عزيزتي بوني، واعتقد أن الوقت قد حان لاستخدام السرير للسبب الذي صنع من أجله».

ورغم دوارها شعرت بيديه تنزعان عنها ثيابها قطعة إثر أخرى حتى أصبحت تقف أمامه عارية تماماً كما ولدتها أمها. ثم راح يتأملها عن كثب وهو يقول، «كم أنت جميلة، يا صغيرتي!» وفي غمرة دوارها قالت له، «أنت أول شخص يراني هكذا عارية، فأرجوك أن تعامل هذا الجسم بكل رقة ولين». ضمها إليه وراح يقبلها في شفتيها، وعنقها، وثدييها. ثم انحدر إلى أسفل جسمها، وسرعان ما شعرت بلسانه يداعب بظرها مما زاد في تهيجها ودوارها. عندئذ حملها بين ذراعيه

ومددها بكل حنان على السرير، وأسرع يخلع ثيابه.

استيقظت عنبر ببطء. لم تعرف الغرفة التي هي فيها، واعتقدت لأول وهلة بأنها عادت الى المستشفى. بعد ذلك جالت بعينيها في أرجاء الغرفة، ورأت ثياباً عرفت فيها ثيابها معلقة على حافة خزانة. عندئذ عرفت أين هي، وتذكرت كيف جاءت الى هناك، وهناك تلاشت ذاكرتها. ما حدث بعد ذلك كان غامضاً تماماً. لم تتذكر كيف وصلت الى هذا السرير، ولا ماذا حدث لها. انتابها شعور بالخوف. هل كانت هذه تجربة رهيبة؟ لقد قرأت عن أشخاص فقدوا ذاكرتهم عندما حدث لهم شيء رهيب، وأن الدماغ يمحي ما في العقل.

استيقظت تماماً الآن، وأدارت رأسها لترى أن الرجل الذي أخذها من مرحلة الفتاة الى مرحلة المرأة كان يرقد وظهره نحوها، وحالما اتسعت عيناها لرؤية كتفيه العريضين العاريين، تعثر الفكر بعيداً عن أغطية السرير الى بقية جسمه العاري أيضاً. أصابها خوف شديد وشعرت بلهفة لترى اذا كانت هي أيضاً عارية. قد شعرت بقليل من الراحة عندما تلمست بأنها ما زالت ترتدي تنورتها. يا ترى هل نزعها عنها ثم عاد وألبسها اياها؟ لم تستطع أن تتذكر. الأسوأ من ذلك كله، هو ما خطر ببالها. هل ذلك الرجل الذي عرفته باسم وولف عاشرها بدون أن ينزع عنها تنورتها؟

في اللحظة التالية وقد احمرّ وجهها، تسللت عنبر من تحت الأغطية. عليها أن تخرج من هنا، الآن، قبل أن يستيقظ. فجأة شعرت بأنها لا تستطيع أن تنظر في وجهه ثانية. العار الذي ارتكبته سرى في كيانها.

أدارت ناظريها عبر الغرفة. هل هي التي وضعت ثيابها على المشجب، أم هو؟ سارت على رؤوس أصابع قدميها نحو الخزانة وهي

تصلي كيلا ينطلق صرير بابها ويزعج الرجل الذي أشبعت شهوته.

أطلق مشجب الثياب صوتاً خفيفاً، فالتقطت انفاسها، ونظرت نحو السرير. تحرك في نومه فتوقفت لحظة ولم يكن في وجهه شيء من الخشونة التي شاهدتها في الليلة الماضية. وبسرعة ارتدت ثيابها، ووجدت حذاءها ومحفظتها وهرعت الى الرواق الخارجي.

تذكرت عنبر بأنها يجب أن تكون في البيت. وبطريقة آلية وجدت سيارة تاكسي، دون أن تكون لديها أية فكرة عن الوقت سوى أنه ما زال باكراً. وعندما وصلت إلى البيت هرعت إلى الحمام لتنظف نفسها. هلعت عندما لمحت نفسها في المرآة. يا ترى ماذا اعتقد سائق التاكسي؟ أو يا الهي، وبدت ثائرة! ذهبت الى الفراش دون أن تزيل ماكياجها.

اختلطت الدموع بالماسكارا مما جعلها تبدو مخيفة، وهي غاضبة من نفسها، قامت عنبر بملء حوض المغسلة وراحت تفرك وجهها، وتزيل كل أثر للماكياج. بعد ذلك ملأت حوض الحمام، وما أن جلست فيه حتى سمعت رنين الهاتف في الأسفل. شعرت بوخزة مألوفة من الألم وهي تحاول الاسراع للخروج من الحمام، لكنها تجاهلتها بسرعة ولبست الروب، وهي متشوقة للرد على الهاتف.

«عنبر؟» استعلم صوت أنثى عند الطرف الآخر لم تعرفه. «هل أنت عنبر نيومان»؟»

«نعم».

«هنا سالي. لقد استغرقت وقتاً للرد على الهاتف. أين كنت؟ في الحمام؟».

«لقد كنت فعلاً في الحمام»، أجابت عنبر، لكنها لم تشعر بالفرح

لسماع صوت سالي سميث. لو أنها التقتها الليلة الماضية حسب الاتفاق، لما كانت...

«آسفة انني لم أخلف الوعد الليلة الماضية. آمل أن لا تكوني قد انتظرت طويلاً».

«لا بأس» أجابتها عنبر ببرود. لا أحد يعلم ما فعله عدم حضور سالي، مع أنها اعتقدت بأنه كانت لدى سالي اللياقة لتتصل هاتفياً وتعتذر. «اشكرك على هذه المخابرة» قالت لها بأدب.

«أوه، انني لم أتصل بك فقط لأعتذر» قالت سالي بسرور، ثم أردفت بشكل مثير. «لدي خبر سار، وعندما فكرت لمن انقله، أدركت بأن هناك قلة من الناس يهمهم معرفة ذلك». ثم انفجرت سالي قائلة، «إنني سأتزوج، أليس هذا عظيماً! «لقد حضر راي فيما كنت استعد للقائك الليلة الماضية». راحت سالي تتحدث عن حبيبها راي، بينما عنبر تحاول أن تصنّف كيف أن سالي تستطيع أن تقوم بعمليات حبو الجرو فيما هي مجنونة بحبه، الى أن قالت لها سالي بأن مشادة كبيرة حدثت بينها وبين راي الشهر الماضي ولم تره منذ ذلك الحين.

«انني مسرورة لك» قالت لها باخلاص. انها نفسها لا تدري تعاسة القلب في الحب، لكنها تعرف شيئاً مثل وجع الرأس، وكانت فعلاً مسرورة لهذه الفتاة.

«لم أكن أدري بأن راي كان سيتقدم لي لو لم أخبره بأنني كنت حاملاً».

«حاملاً؟» لم تكن عنبر لتصدم كثيراً لأن سالي كانت تضع العربة أمام الحصان وتحمل أولاً وتتزوج ثانياً، لكنها صدمت أكثر لأن سالي عرفت كل ذلك، وكانت اثماً من النوع الهادىء الذي يحمل بنتيجة الزواج.

«شيء محبوب، أليس كذلك؟» قالت سالي. «حسناً، يجب أن أسرع يا عنبر. يتوجب عليّ أن أذهب وأوقع في مكتب البطالة».

وضعت عنبر سماعة الهاتف وهي تتمنى أن تستطيع التعامل مع الحياة بنفس طريقة اللامبالاة التي اتبعتها سالي. لكنها حامل! أوه! يا الهي! ماذا فعلت؟ حتى الآن هي لم تستطع أن تكون حاملاً. ليست لديها أية فكرة اذا كان هو، أي وولف، قد اتخذ أية احتياطات في هذا الشأن. من المحتمل أن لا يكون قد أعطى هذه القضية أية أهمية. تأكدت من ذلك فجأة حيث لو أنها لو كانت من النوع الذي اعتقد أنها منه، فمن الطبيعي أن يكون قد تخيل بأنها تتناول حبوب منع الحمل أو أي شيء من هذا القبيل. هناك شيء أكيد أنها لا تستطيع الذهاب الى الفندق وتسأل عنه. نظرت الى الساعة التي فوق الموقد. انها التاسعة والنصف. إنه على أية حال سيكون قد غادر الفندق، وكل ما تعرفه عنه هو أنه غير متزوج، يعيش غير بعيد، والاسم المضحك الذي حلم به.

أدركت بأنها ترتجف، فقامت وارتدت ثيابها. الألم في ظهرها أعلمها بأن عليها أن تتناول حبتين من الدواء، لكنها حالما التقطت محفظتها لاخراج الزجاجة الصغيرة، خطرت لها فكرة أبعدت يدها. ماذا لو كان الدواء الذي تتناوله يضر بالطفل؟

اقتنعت الآن بأنها تتوقع طفلاً، وعرفت عنبر أن عليها أن تطلب مساعدة ما أو تنهي كل شيء الآن. نصف مغماة من الهلع والخوف، أدارت رقم هاتف جيمس كريسويل، فردت عليها موظفة الاستقبال. ساعدها صوت موظفة الاستقبال البارد أن تعض على هلعها.

«هل الدكتور كريسويل حراً؟».

«إنه يجري عملية جراحية».

«أوه» انها بحاجة للتحدث الى العم جيمس، وبسرعة عرّفت عن

نفسها قائلة، «هنا عنبر نيومان»، ومن ثم فقدت سيطرتها واردفت قائلة، «انني بحاجة لرؤيته»، وابتلعت دموعاً أوشكت أن تذرفها، وبدون أن تنتظر أعادت السماعة. لقد عرفتها موظفة الاستقبال، ربما ستخبره. لم تعتقد عنبر أن أطرافها المرتجفة يمكن أن تحملها حتى عيادته ان هي حاولت الذهاب سيراً على الأقدام.

عندما شاهدت سيارة جيمس كريسويل تتوقف في الخارج بعد ساعة، أسرعت الى الباب الأمامي وفتحته على مصراعيه قبل أن يفتح هو البوابة الأمامية.

الابتسامة التي كانت على وجهه عندما شاهدها واقفة هناك تلاشت بسرعة حالما صعد اليها وشاهد وجهها الشاحب الملىء بالدموع. صاح متعجباً وهو يدفعها الى الداخل ويغلق الباب على العالم الخارجي «عزيزتي؟ ماذا حدث؟».

«أوه»، يا عم جيمس»، بكت عنبر، وارتمت على ذراعه وهو يرشدها الى غرفة الجلوس.

«هل أنت متألمة؟» سألها، وهو يحاول الحفاظ على صوت الطبيب الهادىء لكنه وجد صعوبة في ذلك عندما لاحظ حالة الابنة العزيزة لأعز صديقين له.

كان ظهر عنبر يؤلمها كثيراً، لكن ذلك كان أقل ما يقلقها. قالت له وهي تحاول السيطرة على أعصابها، «هل هذا متوقع؟».

«نعم» أجابها جيمس كريسويل ببطء. «لكنه لن يكون دائماً بهذا السوء. وفي وقت قصير ستتحسنين كما كنت. فقط حاولي تحمله يا عنبر، فظهرك تلقى حملاً من العقاب، ولا يمكنك أن تتوقعي منه بأن يتحسن في خمس دقائق».

«إنه لن يتحسّن، أليس كذلك؟» استعلمت هي، وبدون أن تنتظر

جوابه لأنها كانت تعلم بأنه لن يخبرها بالحقيقة قالت، «انني أعلم بأنني لن أتحسن، يا عم جيمس»، ولم تصدق بأن تشعر الآن بهدوء أكبر لأن ذلك ظهر للعلن. انها تأمل أن يبقى الهدوء عندما تخبره عن موضوع حملها.

«بالطبع انك ستتحسنين»، عيناه انتقلت الى وجهها، ونظرته المهنية أعلمته أنها على وشك انهيار عصبي.

«لا تكذب عليّ، يا عم جيمس» قالت متوسلة.

«انني لا أكذب، يا عنبر» قال لها بنغمة جادة. «بحلول هذا الوقت العام القادم ستعودين لصحتك الجيدة، اذا لم ترتكبي أية حماقة. لقد مررت بتجربة صعبة وأنا أعلم أنك تفتقدين والديك». ظلت عنبر هادئة حتى انتهى مما يريد أن يقوله لها. وأخيراً أنهى كلامه قائلاً لها، «والآن سأعطيك حقنة سوف...». لم تستطع البقاء هادئة طويلاً. وقفت على قدميها قبل أن يخبرها ما ستفعله بها الحقنة.

«انني أعلم بأنني سأموت، فقد سمعت السيد فيليبس في المستشفى يقول بأنه لا يعتقد بأنني سأعيش اكثر من ستة أشهر».

«اسمعيني يا عنبر»، قال بصوت جدّي. «انني حارسك وأعرف كل شيء. الجروح التي أصبت بها نتيجة سقوط الصخرة ليست نهائية». ثم ربّت بلطف على كتفها وأردف يقول، «انك ستعيشين. أقسم لك بحبي لوالديك. الجروح التي في ظهرك ستشفى، وسوف تتحسنين».

«لكنني سمعت السيد فيليبس يقول...».

«لا يهمني ما سمعتيه من السيد فيليبس. ان عندي ملاحظته في اضباتك بمكتبي، وسأريك إياها اذا كنت تريدين دليلاً آخر. إنها تقول أنك بحاجة للعناية من أجل الشفاء الكامل. أخبريني الآن كل شيء تتذكرينه عندما سمعت السيد فيليبس يبدي تلك الملاحظة».

عندما غادرها جيمس كريسويل لم يعطها الحقنة. لكن الرعب الذي كان قد انتابها نتيجة كلمات السيد فيليبس أصبح لا شيء، فقد اتصل جيمس كريسويل بالمستشفى مباشرة، وتحدث مع الأخت التي كانت مسؤولة عن الجناح عندما كانت عنبر فيه. استمع لما قالته له الأخت، وأطلعها على ما قالته عنبر، ومن ثم طلب من الأخت أن تكرر كل ما قالته له الى عنبر. ناول السماعة الى عنبر التي أبعدت السماعة قليلاً لأن الدموع انهمرت قلى خديها، لكنها في هذه المرة كانت دموع الخلاص والأمل.

«لقد قالت لي أنني عندما كنت تحت تأثير المخدر أحضروا سيدة كبيرة مصابة بجروح خطرة. يجب أن تكون تلك السيدة المسكينة هي التي تحدث عنها السيد فيليبس. قالت الأخت أن أقارب السيدة عندما سمعوا ملاحظة السيد فيليبس أرادوا أن تكون موضع عناية فائقة وأصروا على نقلها الى جناح خاص. لقد تم نقلها عندما كنت لا أزال تحت تأثير الحقنة التي اعطوني اياها. أوه يا عم جيمس، إنني أشعر بأنني حمقاء!» ثم تذكرت وقالت، «لهذا السبب وضعوا تلك الستائر هناك!».

«إذن لقد اقتنعت أخيراً، أليس كذلك؟» كان يبتسم، وكان ذلك كثيراً جداً بالنسبة لها. ألقت بنفسها بين ذراعيه وتلقت عناقه الأبوي قبل أن يغادرها.

أخذت عنبر تفكر في العمل، لكنها ما زالت غير لائقة للعودة الى العمل، ولديها المزيد من الوقت لتفكر، وخلال اسبوع قررت عدة أشياء. ونظراً لأنها لا تستطيع أن تأمل في اخفاء الحقيقة بأنها حامل، وحيث أنها لا تعتقد بأن السيد تيرنر سيكون لطيفاً ليأخذ أماً غير متزوجة

في مكتبه عندما تصبح لائقة للعودة إلى وظيفتها، انها ستتصل به هاتفياً وتشكره على احتفاظه بوظيفتها شاغرة لها، لكنها لن تعود. ان لديها بعض المال المتوفر الذي يساعدها لفترة، وأملاك والديها ستتم تسويتها بموعد قدوم الطفل، ورغم أن والديها لم يتركا لها ثروة، فسيكون لديها ما يكفي لبقائها في البيت حتى يبلغ طفلها سنتين أو ثلاث من العمر.

كان السيد تيرنر لطيفاً جداً عندما أخبرته بأنها لن تعود الى العمل. «لا مانع عندي من الاحتفاظ بوظيفتك شاغرة حتى يصبح عامودك الفقري قوياً»، قال لها ذلك دون أن يقبل ما قالته له بأن طبيبها نصحها بعدم الجلوس طويلاً على كرسي آلة الطباعة. ثم عاد يقول لها، «ربما يمكنك الحضور لبعض الوقت حتى تصبحي قوية؟».

بعد مرور أسبوع شعرت بأنها الآن مستعدة للبحث عن عمل ما، لكنها ليست في عجلة من التقيام بأي شيء قد يعرقل عملية الشفاء. الآن فقط نظرت الى الوراء وأدركت الورطة التي هي فيها. لكنها لن تنظر الى الوراء كثيراً، وستكون نظرتها للمستقبل.

نتيجة لذلك، راحت تتفحص جريدة محلية بحثاً عن وظيفة ما مدفوعة الأجر، وعندما لمحت اعلاناً عن الحاجة لوظيفة كتابية مؤقتة لدى شركة تصنع علب الكرتون كانت قد انتقلت الى المنطقة وتريد موظفين للمساعدة في عملية الانتقال، اتصلت هاتفياً وطلبت مقابلة، وهي تعتقد أن وظيفة مؤقتة ستناسبها للوقوف على الأرض حتى تصبح لائقة تماماً وتعود الى العمل السكرتاري الذي تدربت عليه.

السيد ماك جيلي، الرجل الذي قابلته للوظيفة، سألها عن خبرتها، ولم يظهر عليه بأنه يميل لأخذها عندما سمع بأنها كانت تعمل سكرتيرة سرية. فقال لها، «نحن لا ندفع ذلك النوع من الراتب».

«انني لا أتوقع أن أتلقى الراتب الذي تدفعونه للسكرتيرة»، أجابت

عنبر. ثم اردفت تقول له، «لقد كنت مريضة لعدة أشهر ولا أريد العودة الى مجهود العمل السكرتاري لفترة».

تغيرت ملامح السيد ماك جيلي في الحال وتذكر بأن زوجته قد عانت مؤخراً من انهيار عصبي وقد كان الجميع لطفاء معها فياليته يستطيع أن يقدم ذلك اللطف الى شخص ما عانى من نفس الأذى.

«انك ستستعيدين ثقتك سريعاً، أكد لها، مما جعلها ترغب في أن تتلوى لأنه أصبح الآن لطيفاً معها، وعاطفته المفاجئة جعلتها تشعر بالخوف، لكن نظراً لأنه أرخى شعره وتحدث عن زوجته، فانها لم تكن لديها الجرأة لتخبره بأنه أخطأ في طبيعة مرضها. قال لها وهو يبتسم، «لن يمر وقت طويل الا وستتمكنين من القيام بالعمل السكرتاري». ثم راح يخبرها كم يدفعون للعمل السكرتاري، وعندما لم تتأثر عنبر للمبلغ الذي يدفعونه لأنه كان ضئيلاً، أخبرها أن بامكانها البدء في العمل يوم الإثنين.

شعرت عنبر بالراحة لدى خروجها من المكتب الخانق واتجهت نحو بيتها. وعندما جلست في الباص، بعض الشعور بالذنب الذي أحست به ذهب عنها. ابتسمت عندما نظرت في مرآة الباص وشاهدت شعرها البني الطويل، وأسنانها البيضاء، ثم أغلقت فمها كيلا يكون هناك من يراقبها. انها ستنظر نحو المستقبل، وقد قامت الآن بالخطوة الأولى.

الفصل الثالث

وصلت الى شركة بروسترز يوم الاثنين، وتركت عنبر في عهدة فتاة شقراء ذكية من سنها تقريباً. «هيلين سوف تريك الحبال»، قال السيد ماك جيلي وهو يرميها بابتسامة مشجعة قبل أن يبتعد مسرعاً.

«دائماً عيناه فيها»، قالت هيلين كمبسي وهي تري عنبر المكتب الذي سيكون لها، وأصدرت اليها التعليمات في كيفية استعمال الماكنة الحاسبة الأثرية قبل ان تعطيها رزمة من الأوراق بأعمدة من الأرقام المطلوب جمعها.

اعتادت عنبر بسرعة على روتين العمل، ورغم انهماكها فيه، فقد كان لديها دقيقة أو دقيقتين للتعرف على البنات الأربعة الأخريات اللواتي يجلسن الى مكاتب مشابهة لمكتبها، ونظراً لأن عليها في كل ساعة تقريباً ان تأخذ عملها الى حوض الطابعات الصغير، مما يعني أنه لن تكون هناك فرصة لظهرها ليعتاد على الجلوس الطويل.

بنهاية الأسبوع الأول أصبحت على ما يرام مع الفتيات اللواتي تعمل معهن. لكن نظراً لأن هيلين كمبسي كانت على طول موجتها الخاصة أكثر من أية فتاة أخرى، فان الفتاتين انجذبتا نحو الصداقة. الأخريات كلهن كنّ متزوجات واهتمامهن كان في أسعار اللحوم والخضار أكثر من

أي شيء آخر، وكان عليهن أن يحصّلن شيئاً إضافياً نظراً قتراب عيد الميلاد.

تعجبت عنبر بخصوص هيلين في تلك الأيام الأولى، لأن الفتاة كانت تصرف عن بذخ وتحولت لدرجة أنها لا تستطيع شراء ثوب مما تقبضه من شركة بروسترر. كانت هيلين قد أخبرتها في إحدى ساعات الغداء أنها تعمل هنا منذ شهر فقط. وعندما لمحت نظرة الاستغراب على وجه عنبر قالت لها، «انني مسؤولة عن هذا القسم نظراً لأنني بدأت العمل قبل الأخريات بيومين».

إنها تريد أن تعرف المزيد لماذا هيلين، التي أخبرتها أنها مثلها في الثانية والعشرين، لم تعمل من قبل، لكنها خجلت من حشريتها. إنها لم تخبر أحداً، عدا السيد ماك جيلي، أنها كانت تعمل سكرتيرة لأن ذلك قد يؤدي الى القيل والقال. إنها لا تريد أن تخبر أحداً عن اصابتها كيلا يصل ذلك الى مسامع السيد ماك جيلي.

مع مرور الأسابيع توطدت صداقتها مع هيلين، فكلتاهما لا أبوين لهما، ولم تتحدثا عن خلفيات بيتهما لكن هيلين أخبرتها عندما علمت بأنها الأبنة الوحيدة:

«انني أحسن حظاً منك يا عنبر، فلدي شقيقين»، ثم أردفت كأنها تحدث نفسها، «مع انني احياناً استطيع العيش بدونهما!».

فهمت عنبر بأنه كانت هناك نزاعات عائلية، وندمت للمرة الأولى بأنها كانت ابنة وحيدة. لقد كان من المستحسن أن تكون لي أخت أو أخ للوثوق بهما. طرحت هذه الفكرة من ذهنها بعيداً، فلا أحد كان أسعد منها في طفولتها.

قبل حلول عيد الميلاد بأسبوع سألتها هيلين عما ستفعله في موسم الأعياد. «أتوقع أن تذهبي الى حفلة أو حفلتين؟».

«فعلاً، لا»، أجابت عنبر، ثم لأن ذلك بدا كأنها ستجلس وحيدة في البيت، اردفت تقول، «العم جيمس الذي ذكرته لك عدة مرات، طلب مني الذهاب والإقامة معه خلال فترة الأعياد...».

«إنه طبيب، أليس كذلك؟» رغم أنها لم تذكر ذلك، وبدا من نغمة هيلين بأنها لا تفكر في البقاء مع طبيب أبوي في فترة الأعياد التي ستكون مليئة بالمرح.

«إنه يحبني كثيراً» أكدت عنبر. ثم فكرت بأنه حارسها ويستعلم دائماً عن تقدمها نحو الشفاء الكامل، كما أنه كان دائماً صديق العائلة الطيب.

كانتا تسيران في الشارع الكبير، وبعد أن اعتقدت عنبر بأن الموضوع انتهى، قالت هيلين فجأة، «لماذا لا تأتين للإقامة معنا؟».

«أوه، لا استطيع!» خرجت الكلمات من فمها بصورة آلية. ان عائلة هيلين لن ترغب تطفلها.

«لِمَ لا؟» جاء صوت هيلين حازماً، «اننا سنحب وجودك معنا. اذا ذهبت الى عمك جيمس، فانني اراهن بأنك لن تشاهدينه كثيراً».

هذا صحيح. إنه طبيب ذو ممارسة طويلة وقد يستدعونه في أي وقت، ومع أنها على ما يرام مع مدبرة منزله، السيدة باغيت، وهي...

«انظري، دعينا نذهب ونتناول قهوة أو شيئاً ما، ونناقش الموضوع»، قالت هيلين، ووجدت عنبر نفسها جالسة معها في مقهى. صممت هيلين على أن تنضم عنبر اليها والى شقيقيها في بيتهم في الدريدج بانك، وكانت على استعداد لدحر أي عائق قد تضعه عنبر في الطريق.

«لكن اخويك لا يريدانني هناك» احتجت عنبر. «انهما لا يعرفان شيئاً عني، وقد لا يحبانني، فما العمل عندئذ؟».

«هراء»، قال هيلين. «ان سيمون سيهدم من أجلك طناً من الطوب،

وهو يحب الفتيات الجميلات الشكل، وعندما يرى الطريقة التي يحول فيها الضوء شعرك الى لون العنبر فانه سيغرق بدون أثر». ابتسمت عنبر لهذا الاطراء، لكنها وعت عندما أردفت هيلين تقول، «لقد كانت نبؤة ذكية عندما أطلق عليك أبواك اسم عنبر، إنه يلائمك تماماً مع لون شعرك عندما يسلط عليه الضوء».

«ان والدتي كان لها نفس لون الشعر»، قالت عنبر بهدوء. «اعتقد أن الماما والبابا كانا يأملان أن أرثه». ثم لكي تبتعد عن الموضوع سألت وهي تبتسم، «وماذا عن شقيقك الآخر؟ هل سيغرق هو الآخر بدون أثر؟»

كانت هناك لحظات توقف قبل أن تجيب هيلين «دايسون هو غلاية سمك مختلفة»، قالت ببطء، واحسّت بأنها تفسد العمل الجيد الذي قامت به لغاية الآن. «إنه أخي من أمي، وهو أكبر من سيمون ومني بإثنتي عشرة سنة لأنني أنا وسيمون توأمين، على فكرة، انهما لا يشبهان بعضهما، لكنني متأكدة بأنك ستحبينه أيضاً».

ان شيئاً ما لم تقله هيلين عن أخيها دايسون جعل عنبر تتأكد بأنها لن تحبه. وبدأت تقول، «اعتقد أن من الأفضل أن أظل على خطتي الأصلية...».

«أوه، أرجوكي يا عنبر»، انفجرت هيلين قائلة. «إنها ليست دعوة بت لحظتها. حقاً إنها ليست كذلك. لقد كنت أفكر بها منذ أسبوع، فقط أقول لك الحقيقة بأن لن يعمل أي شيء خاص، واعتقد بأن ذلك قد يكون مملاً نوعاً ما».

لم يكن هناك من شك في اخلاصها، لكن عنبر لم تكن متأكدة بأن العم جيمس سيكون أول من يقول بأن تذهب وتختلط بأشخاص من سنها. كانت متأكدة بأنه لن يغضب اذا لم تقم معه، لكن...

«أرجوكي تعالي يا عنبر»، قالت هيلين من جديد، ثم بعد لحظة تردد، «لا أريد أن أقول أي شيء لكنك ستصنعين معي معروفاً اذا حضرت».

«معروفاً؟» استعلمت عنبر.

«نعم. ان من الأفضل أن أشرح لك قليلاً عنا. لم أقل الكثير من قبل لأن النزاعات العائلية هي نوعاً ما شيء خاص، أليس كذلك؟ لكن في المرة الأخيرة التي عاد فيها سيمون الى البيت من الجامعة حدثت مشادة كبيرة بينه وبين دايسون. اعتقدت أن دايسون سيقتله، يمكنك أن تسمعيهما في كل أرجاء البيت. ذهبت لأحاول المساعدة وانتهى الأمر بي بالوقوف الى صف سيمون». قالت هيلين، «انني أعلم بأنني على خطأ، لكنه شقيقي التوأم قبل كل شيء»، نظرت الى عنبر وابتسمت قليلاً. «اذا كنت تعتقدين بأن اثنين ضد واحد ليس عدلاً، لا تعطي الأمر تفكيراً آخر. ان باستطاعة دايسون أن يقهر ستة منا ويطرح أرضاً العديد منا. على أية حال، ان نتيجة المشادة كانت أن دايسون وضع اللوم علي لتدخلي، قائلاً أنه كان سيصغي لأي شيء أقوله عندما تواضعت ووضعت يديّ الوسختين وقال كلمة بذيئة لا أريد أن أرددها على مسامعك».

استنتجت عنبر بأنها كانت مشادة جهنمية وقالت لها، «وهكذا قررت الحصول على عمل فقط لكي تثبتي . . .» «هذا صحيح».

تأثرت عنبر بكل ما سمعته من هيلين، فالمشادة التي تحدثت عنها بدت كأنها معركة عسكرية.

قالت لها عنبر، «وهكذا أظهرت لشقيقك دايسون أنه لا يستطيع التحدث عنك هكذا وينجو بجلده؟» إنها ما زالت لا تملك فكرة

واضحة عن سبب المشادة، لكنها لم تستطع الا أن تعجب بروح هيلين.

«نعم»، وافقت هيلين، ثم تابعت تقول، «والآن هل رأيت ماذا ستصنعين معي معروفاً اذا حضرت وبقيت معنا خلال عيد الميلاد؟».

كانت عنبر متأكدة بأنها ستفعل. فمما قالته هيلين، اعتقدت هي بأنها عائلة مبعثرة. لم تكن لدى عنبر أية فكرة أين تقع ايلدريدج بانك.

رأت هيلين الشك في وجهها، فقالت لها، «دايسون لم يشاهد سيمون منذ تلك المشادة. بعد المشادة خرج دايسون من البيت وعندما لم يعد للبيت تلك الليلة، قرر سيمون أن يجعل نفسه نادراً في حال أية فتاة أمضى دايسون الليلة معها لم ترق له ـ ليس ذلك يعني أن غضبه يدوم طويلاً»، اسرعت لتؤكد لها، «لكن من المحتمل أن يكون ذلك لا يزال يقض مضجعه مما فعل سيمون. . . لكنه يسيطر على نفسه عندما يكون لدينا ضيف في البيت».

بدت دعوة هيلين البسيطة أكثر تعقيداً مما اعتقدت، ولم تصدق تماماً الحقيقة بأن وجودها يعني أن الوئام سيسيطر على البيت طالما كانت هي هناك.

«تعالي»، راحت هيلين تحثها. «أعدك بأن دايسون سيكون رجلاً كاملاً طالما أنت هناك، ولن يرفع صوته».

«كيف يمكنك أن تتأكدي؟» لم تكن عنبر مقتنعة وراحت هيلين تشرح لها:

«توفي والدي قبل والدتي بحوالي سنة وكنت في الخامسة عشرة عندما توفيت، ومررت بظروف صعبة ملتصقة بأغرب الأشخاص كأصدقاء، على أي حال، بعد أن أمسكني دايسون أدخن مع مجموعة منهم في ملجأ للباصات، أصرّ بأن أحضر كل صديقاتي الى البيت

ليتعرف عليهن. كان ساحراً تماماً لكل واحدة منهن رغم أنه كان بينهن واحدة أو اثنتين من المتشردات المحترفات للقتل، وتدريجياً استطاع تحريري تماما من الشلة السيئة»، ضحكت هيلين. «انني لا أعرف الطريقة التي استخدمها لتخليصي منهن، لكنهن طردن بلباقة، بينما بقيت أخريات في المجموعة موضع ترحيب دائم. ان ما أحاول قوله، يا عنبر، أنه فيما دايسون لم يعد يتدخل مع صديقاتي، فان باستطاعته من أول نظرة أنك صديقة مثالية لي، وأعلم أنه سيبذل كل ما في وسعه لجعل اقامتك بيننا ممتعة».

لمعت في ذهنها صورة الرجل وولف، لكنها طردتها بسرعة. بكل تأكيد أن كل شخص يسمح له بهفوة؟

«سأحضر»، قالتها بسرعة قبل أن تعود اليها صورة ذلك الرجل الداكنة.

«أوه، حسناً»، قالت هيلين وهي تشرح لها عنوان بيتها.

شعرت عنبر أنها في ورطة، فهل يتوجب عليها أن تشتري هدية لكل من سيمون ودايسون؟ انها لم تقابلهما ولا تتوقع منهما أن يشتريا لها أي شيء، لكنها عرفت بأنها ستموت من الأرتباك إن فعلا ذلك ولا شيء لديها لتقدمه لهما بالمقابل. ترددت في بادىء الأمر ثم قررت أن تشتري ربطة عنق لكل منهما، واحدة زرقاء لدايسون، والأخرى خضراء لسيمون. أما بالنسبة لهيلين فليست هناك مشكلة لأنها تعرف اسم عطرها المفضل، ورغم أنه باهظ الثمن فانها لم تكترث لأن هيلين صديقة طيبة جداً وقد سمحت لها بالدخول في دائرة عائلتها.

تلقت عنبر هدايا عديدة من العم جيمس والسيدة باغيت أيضاً، وكانت هي قد اشترت هدايا لهما. اتصلت هاتفياً بالسيدة باغيت أولاً ووجدت أن العم جيمس لن يذهب الى المستشفى تلك الليلة. أخذت

الهدايا الى بيته، وأدخلتها السيدة باغيت قائلة لها أن الطبيب في غرفة الجلوس، فناولتها عنبر هديتها الملفوفة وهي تعلم بأن السيدة باغيت ضعيفة أمام كل شيء مصنوع من الزجاج وتأملت بأن تعجبها حمالة الشمع الزجاجية مع شموعها الجميلة.

وجدت عنبر جيمس كريسويل يستمع الى بعض اسطواناته المفضلة. دخلت بهدوء الى غرفة الجلوس ونظرة واحدة الى الشبشب الممزق الذي يضعه في قدميه كانت كافية لتفرحها لأنها اختارت له شبشباً من الجلد المبطن كهدية له.

«انني لم أتوقع زائرين»، قال وهو يفتح عينيه وقد أدرك بأنه ليس وحيداً. «يسرني دائماً أن أراك، يا عنبر. تعالي واجلسي». يحظت نظرته تتجه نحو الرزمة التي كانت تحملها.

«أنا... أنا أحضرت هديتك الليلة»، قالت وهي تضعها على طاولة صغيرة قبل أن تجلس. ثم تابعت تقول له، «هل تمانع يا عم جيمس إذا لم أقض عيد الميلاد معك؟»

«انك لاتفكرين في البقاء لوحدك في البيت، أليس كذلك؟» سألها بوجه مكفهر. «انني لا أعتقد بأنها فكرة حسنة، يا عزيزتي».

عندما أخبرته عنبر عن دعوة هيلين لها للاقامة معها في ايلدريدج بانك، ذهب الاكفهار عن وجهه وابتسم قائلاً، «انها فكرة ممتازة». ثم عاد وسألها، «من هي هيلين وعائلتها؟»

«انني لم أقابل شقيقي هيلين ! ان لها شقيقين، هما سيمون ودايسون، لكنها تقول...».

«دايسون؟ ايلدريدج بانك؟» قال جيمس كريسويل، كأنه يحاول أن يجد علاقة بين الاثنين. «انه لن يكون دايسون سيلفر، أليس كذلك؟».

«لست أدري يا عم جيمس. اسمها هيلين كمبسي، لكن دايسون شقيقها من أمها، لذا قد يكون اسمه سيلفر ـ لم أفكر بالسؤال. لماذا، هل تعرفه؟»

«أراهن بأنه نفس الشاب»، قال جيمس كريسويل بتفكير. «من كل النواحي إنه رجل أعمال ثري لا بأس به، لكن له اصبعاً في مشكلة أو اثنتين، كما سمعت».

تذكرت عنبر بأنه لم تكن هناك حاجة ماسة لهيلين لكي تعمل لتأمين معيشتها، وشعرت بقليل من الخوف، وتمنت لو أنها لم تقبل الدعوة الآن. لم يزعجها من قبل أن ثياب هيلين كانت باهظة الثمن، رغم أن خزانتها مليئة بالثياب، هذا عدا عن معطفها الجلدي الذي يكلف ما يجب أن تدفعه هيلين على ثيابها.

«هل تعتقد بأنه يتوجب علي عدم الذهاب؟» سألت عنبر. «لم أكن أدري بأن عائلة هيلين بهذا الثراء».

«هراء»، قال جيمس كريسويل. «أنت جيدة في كل شيء مثلهم».

حزمت عنبر الأشياء التي ستأخذها معها ليلة الاثنين، غير متأكدة أي من ثوبيها الطويلين المفضلين تختار، فحزمتهما كليهما. إنها سترتدي أفضل ثوب لديها للمكتب غداً. لن يكون هناك وقت كاف لتبديل ثيابها عندما اعادتها هيلين لاحضار شنطة ثيابها. فرحت لأن هيلين اقترحت عليها العودة لاحضار شنطتها، لأنها أضافت بنطلوناً، وثوبين لتحت الركبة، وثياباً داخلية ، وجينز وأدوات الماكياج، دون أن تذكر الأحذية وأشياء أخرى عديدة، جعلت شنطتها تبدو ثقيلة.

وصلتا إلى البيت، فدخلت هيلين وتبعتها عنبر. كانت القاعة مضاءة وعندما دخلتا من الباب الأمامي الضخم، ولما لم يكن هناك أحد، طلبت منها هيلين أن تضع شنطتها عند أسفل السلم فيما ذهبت هي

تبحث عن كل فرد. بدت القاعة طويلة والأبواب على اليمين واليسار، وراقبت عنبر هيلين وهي تختفي عبر أحد الأبواب الى اليسار. ثم قبل أن تتمكن من القاء أكثر من نظرة حولها، فتح باب إلى اليمين وخرج منه شاب طويل داكن الشعر.

شاهدها رأساً، لكن قبل أن يبدأ في التقدم نحوها، فان صدمة المعرفة جعلت عنبر تشعر بأنها على وشك الاغماء. كانت قد وضعت شنطتها عند أسفل السلم، وأمسكت بعامود السلم وهي تصلي من كل قلبها أن لا يكون الرجل الذي يقترب منها قد عرفها بدوره. في المرة الأخيرة التي رأته فيها، كان وجهها مطلياً بالماكياج، وكان ذلك عندما كانت في غرفة نومه في الفندق.

جاء ووقف قبالتها، وعيناه القاسيتان ينظران الى وجهها الشاحب ـ إنه شقيق هيلين من أمها، لأنه لا يمكن أن يكون شخصاً آخر، انه ليس سوى الرجل الذي عرفته فقط باسم وولف!

نظر إليها دون أن يبتسم أو يتكلم، وفيما كانت هي تفتش عن شيء ما لتقوله، ما زالت تأمل بأن لا يكون قد عرفها، لكنها شكت في الأمر كثيراً. سمعت هيلين وهي تعود على طول القاعة.

«أوه، أنت هنا يا دايسون ـ كنت أفتش في غرفة الرسم عنك وعن سيمون».

«سيمون خرج»، قال دايسون بنعومة، واستدار لينظر إلى شقيقته من أمه.

صعدت هيلين اليهما، ولما لاحظت البياض في وجه عنبر قالت، «هل أنت على ما يرام يا عنبر ـ تبدين شاحبة؟»

«انني بخير»، أجابت عنبر بسرعة، وهي لا تريد من هيلين أن تلفت انتباه دايسون لها.

«إنه التغيير في درجات الحرارة على ما أعتقد»، قال دايسون «انه البرد القارس في الخارج، ونظراً لأن المرء يشعر بالبرد في بيت شخص آخر، فقد أشعلت المدفأة درجة أو درجتين للترحيب بصديقتك، وسأخفضها لاحقاً».

لم تكن هناك نغمة في صوته تدل على أنه قد عرفها، ومع أنها كانت قادرة على الاسترخاء قليلاً عندما افتكرت بأن حوالي أربعة أشهر قد مرت على تلك الليلة، فقد شعرت بالغثيان عندما أدركت بأنها ستقيم هنا في نفس البيت معه أسبوعاً كاملاً.

«من المحتمل أن يكون ذلك هو السبب»، وافقت هيلين على قول أخيها من أمها بأن ذلك يعود للتغير المفاجيء في درجات الحرارة.

«انني واثق بأن عنبر ليست كالأرنب الخائف على كل حال»، قال دايسون بنعومة، وأصيبت عنبر بصدمة جديدة. فكلماته، وأشارته إلى الأرنب عندما اخبرته بأن اسمها كان بوني، جعلتها تعرف بدون أدنى شك بأنها عندما عرفته رأساً، أنه كان قد عرفها.

«هل تحبين أن تشربي شيئاً ما، أم تفضلين رؤية غرفتك؟»

تمسكت عنبر بما كانت تقوله هيلين. لقد عرفت بأنها لن تقيم، لكن عليها في هذه اللحظة أن تهرب من نظرة عيني دايسون المبهمة.

«غرفتي، اعتقد ذلك»، قالت فجأة بصوت أجش.

«تعالي اذن»، التقطت هيلين شنطتها وصعدت السلم. «سأعطيك الفرصة لترتبي ثيابك، وعندها يكون سيمون قد عاد ونستطيع جميعاً أن نقوم بتزيين شجرة عيد الميلاد».

ذهبت عنبر لتلحق هيلين على السلم، لكنها وجدت طريقها مسدوداً بواسطة دايسون. أوه يا الهي، هل سيقول هنا والآن، على مسمع من هيلين، بأنه لا يعتبرها صديقة مناسبة لشقيقته؟ تذكر قول هيلين بأنه لم

يعد يتدخل بصديقاتها، لكنها لا تعتمد على ذلك. ثم خطا جانباً، وأعطاها انحناءة ساخرة، لكنها شاهدتها وتلوّن وجهها وهي تلحق بهيلين. يجب عليها أن تخبر هيلين شيئاً ما عندما يكونان لوحدهما - انها لا تريد أن تقول لها الحقيقة، لكن عليها أن تخترع قصة تعيدها الى اكسير الليلة.

«ها نحن هنا»، قالت لها هيلين، وهي تنتظرها وتفتح لها أحد الأبواب المتعددة. «لأنك جميلة وانثوية، اعتقد بأنك تحبين غرفة جميلة وانثويةوتبعتها عنبر الى داخل الغرفة التي كانت بالفعل انثوية مفرحة.

ان أول شيء وقع عليه نظرها هو السرير المزخرف والأعمدة لأربعة ذات الستائر الشبكية.

«أوه، هذا جميل جداً!» شهقت عنبر

«أهلاً وسهلاً بك يا عنبر، نحن نريدك أن تكوني سعيدة معنا».

بعد ذهاب هيلين وقفت عنبر على قدميها واتجهت نحو باب الغرفة، لكنها قبل أن تصل الى الباب شاهدت قبضة الباب تدور فتسمّرت مكانها عندما فتح.

لم تستغرب عنبر أن تشاهد دايسون واقفاً هناك، كانت تعرف في أعماقها بأنه سيختار لحظة ما ليكلمها بصورة خاصة، مع أنها كانت تفضل أن تغادر بدون أن تراه.

«أشكرك لأنك طرقت الباب»، قالت ذلك وهي تتسلّح بالسخرية لتستعد لهذه المقابلة.

«أرجو أن تسامحيني على سوء سلوكي»، قال بنغمة ساخرة. «لقد نسيت تماماً بأن الرجال دائماً يطرقون الباب قبل أن يدخلوا الى غرفتك».

رأت عنبر نفسها بدون دفاع ضده، ولم تستطع أن تقول له بأنه الرجل الوحيد الذي منح له امتياز الدخول الى غرفتها عدا والدها وطبيبها، لكنه لن يصدقها على أية حال.

أغلق دايسون سيلفر الباب خلفه وتقدم أكثر الى داخل الغرفة. عندئذ غادرته كل السخرية وقال لها، «ألم ترتبي ثيابك بعد؟» كانت شنطتها لا تزال حيث تركتها هيلين، وليس هناك من دليل على وجود ثياب لها معلقة في أي مكان.

«السبب هو أنني لا أميل للبقاء هنا» شاهدت عينيه تضيقان عند سماعه كلامها، وأدركت أنها فرحت لأنها سرقت منه المبادرة اذا كان مستعداً ليقول لها أخرجي من هنا.

«أرى أن تسرعين»، قال كأنه يوافق على عدم بقائها.

«أوه، لا تقلق»، وهزت كتفيها بابتهاج. «مع أنني أعرف القليل عن عائلتك، فانني أعرف ما يكفيني لأدرك بأنك تعتقد بأنني غير لائقة بما فيه الكفاية لكي أصادق هيلين».

«يبدو أنك كنت تقرئين أفكاري»، قال بكل وقاحة. «يبدو أنه ليس هناك شيء أستطيع أن أقوله لم تتخيليه عن نفسك».

شعرت عنبر بالاشمئزاز من وقاحته الباردة. إنها لم تقابل شخصاً مثله ـ لكن فجأة كل اللوم الذي وضع عند بابها جعلها تصاب بالجنون. إنه ليس من العدل أن تكون هي الملامة عندما يكون هو المسؤول عما حدث.

«يا للرجال!» قالت باشمئزاز غاضب. «إنه جيد بالنسبة اليك، أليس كذلك؟ يمكنك أن تتمتع دون أن تفكر بالعواقب، لكن النساء...».

«لكنها لم تكن هناك أية عواقب، أليس كذلك؟» قال بنعومة.

لقد تمنت لو أنه لم يزعجها، أنها كانت على وشك أن تتخذ

خطوتها. لكن ما قاله أصابها، ولا يمكن أن تكون اشارته فقط الى الحقيقة بأنها غير حامل، فالدليل أمامه. عضت عنبر على شفتيها، انها قد تكون حاملاً أربعة أشهر تقريباً الآن اذا كانت هنا أية عواقب، وهي تقف أمامه نحيفة كالقصبة.

«لا... لا»، قالت متلعثمة، «ليست هناك ـ لكن لا شكر لك». اعتقد بأنه بدا مندهشاً قليلاً من ذلك وتعجبت إذا كان قد اتخذ الاحتياطات بعد كل ذلك، والتهب وجهها عند هذا التفكير، وأدارت رأسها بعيداً عنه. ان باستطاعته أن يتذكر كل شيء فعله في تلك الليلة، بينما ذاكرتها لا تزال فارغة. شعرت بالاهانة والخزي، ومع أنها كانت غلطتها لأنها دعته تلك الليلة، فقد أرادت أن تضربه بأية طريقة تستطيعها. «على كل حال» اردفت تقول وهي تحقن صوتها بكل ذرة من الاحتقار في متناولها، «لقد كان لدي عشاقاً أفضل منك بكثير منذ تلك الليلة».

«انني لا أشك في ذلك»، عاد يقول، وقد استطاعت أن تسمع رنة الاشمئزاز في صوته لأنه اعتقد بأنها عاهرة. «لكننا لم نكن عشاقاً، أليس كذلك؟».

«لا»، قالت موافقة، وهي ما زالت لا تنظر اليه، «فالحب لا يلعب دوراً في هذه الأمور، أليس كذلك؟» ثم أصابها شعور بالقرف من هذا الحديث وأنه يتوجب عليها أن تضع حداً سريعاً له. «لست بحاجة للحضور لكي تطردني ـ انني ذاهبة». واستدارت لتواجهه. كان وجهه غير متأثر، ولا يقول لها شيئاً عن أفكاره. «إنه يتوجب عليّ أن أرى هيلين أولاً ـ لكنني أفضل، اذا كنت لا تمانع، أن لا تعرف أي شيء عن ـ عنا».

راح يتفحصها لعدة لحظات، عيناه على وجهها الشاحب، وهالة

العنبر حولها من المصباح الكهربائي الذي فوق رأسها، ثم استدار بسرعة بدون أن يقول كلمة الى أن فتح الباب.

«سأرسل لك هيلين ـ إنك تفضلين كثيراً أن تقولي اكاذيبك دون أن يكون هناك شخص آخر موجوداً، نني واثق».

لم تنتظر عنبر طويلاً قبل أن تظهر هيلين. كانت هيلين قد ارتدت قميصاً وجينز. الكل مستعدون لتزيين شجرة عيد الميلاد، اعتقدت عنبر، وشعرت بالدموع تتألق في عينيها لأنه لن يكون لها دور في هذه المناسبة العائلية.

«ماذا حدث؟» سألت هيلين مباشرة وهي تدخل الى الغرفة. «لقد قال لي دايسون أنك قررت عدم البقاء».

«أنا... أوه»، لقد اعتقدت فعلاً بأنها سواء أذهبت أم بقيت فان القضية لا تهم أحداً، لكن نظرة الألم في عيني هيلين جعلتها تشعر بأنها تزداد طولاً. «أوه، أنا آسفة يا هيلين. لقد كنت اكثر من لطيفة معي عندما اعطيتني هذه الغرفة الجميلة، لكنني لا أستطيع البقاء».

«لماذا؟» بدت هيلين بأنها مستعدة لتكون صعبة. «أريدك أن تبقي، يا عنبر. لقد وافقت على الحضور على سبيل المعروف معي ـ لا يمكنك أن تتراجعي الآن». وجلست على الطاولة، وبدت مستعدة للجلوس حتى تعطيها عنبر سبباً معقولاً لعدم بقائها.

«انني لا أعتقد بأن شقيقك يحبني»، قالت عنبر، وقد شعرت بأنها حشرت وخرجت بأول شيء هو الأقرب الى الحقيقة.

«دايسون؟» سألت هيلين، وهي تعلم بأن عنبر لم تقابل سيمون بعد. «أوه يا عنبر، اذا كانت طريقتك دايسون قد ازعجتك، فانسي الموضوع». مع أن هيلين بدت بأن لا تستطيع أن تتذكر ما يزعج في طريقة دايسون». ان الكثير من الأشخاص لا يعتادون عليه من أول

وهلة، لكنه شخص دافيء حقاً عندما تتعرفين عليه. انظري»، وأردفت تقول، قبل أن تستطيع عنبر أن تدخل أي شيء. «انني سأحضره الى هنا لكي يتحدث معك ـ انك ستشاهدين كيف ـ يرحب بك».

«لا، يا هيلين»، قالت عنبر، لكنها كانت تتحدث الى باب مفتوح عندما خرجت هيلين مسرعة.

الفصل الرابع

أغلقت عنبر الباب بعد خروج هيلين، وهي تعلم بأنها لم تتصرف بشكل جيد. تنهدت، وأخذت المقعد الذي قفزت منه هيلين قبل دقائق. ليست لديها أية فكرة عما كانت تقوله هيلين لشقيقها من أمها، لكنها فقط أن لا يكون دايسون قد أخبرها كيف سمحت لنفسها بأن يلتقطها تلك الليلة. اعتقدت بأنه سيسدل ستاراً على ما حدث، لكن هيلين ليست تلك الغبية التي لا تستطيع ملء الفراغات.

لقد تأثرت لأنها الآن ستفقد كل احترام هيلين لها. إنه سيكون من المستحيل عليها أن تعمل معها وهي تعلم أنها كانت لعبة سهلة بيد دايسون.

سمعت وقع خطوات في الرواق ووقفت، وهي تضع محفظتها فوق ذراعها. في أية لحظة الآن سيفتح الباب، وتمنت فقط لو أن هيلين تكون مهذبة معها وتسألها اذا كانت جاهزة للذهاب. لكن عندما فتح الباب، لم تكن هيلين هي التي دخلت، بل كان دايسون.

«حسناً»، قال وهو يغلق الباب ويتكىء عليه، «ألست أنت الذكية!» نظرت اليه عنبر وقد بدت الدهشة على وجهها. «هيا يا بوني، بكل تأكيد ليست لديك الكلمات؟ ألا تعلمين أن من المفروض عليك أن

تخرجي؟» «لا أدري عن ماذا تتحدث؟»

«انني فعلاً لا أدري عن ماذا تتحدث»، قالت عنبر مرغمة. «ولا تدعوني بوني!»

«لكن يا عزيزتي»، قال دايسون باستهزاء، «أنت بنفسك أخبرتني بأن اسمك كان بوني».

«حسناً، أنت الآن تعلم بأنني لست بوني» ثم خطرت لها فكرة فقالت «ليس أنت الذي سيوصلني الى البيت، أليس كذلك؟»

«أوه، انك لن تذهبي الى البيت، يا آنسة نيومان، صدقيني - على الأقل ليس قبل أن ينتهي هذا الاحتفال بالعيد».

«أنا»، ترددت عنبر. «انني لم أحلم بأن أقضي ليلة واحدة تحت سقفك».

«مع ذلك لم يكن لديك مانع بأن تقضي ليلة واحدة في فراشي».

«ذلك أمر مختلف».

«سأقول بأنه كان مختلفاً»، قال مؤكداً، «لكن لكي أضعك في الصورة، لقد تركت الآن عند نهاية السلم شقيقة على وشك البكاء بسبب فكرة انني تعاملت ببرود مع لقيطتها ومتشردتها».

«انني لست لقيطة ولا متشردة!» انفجرت عنبر بغضب وشاهدته يرفع حاجبيه غير مكترث عندما تطاير الشرر من عينيها. «ولن أقيم هنا».

«أوه، لكن أنت - كما تشاهدين، يا آنسة نيومان، ان هيلين وضعت في رأسها أنك بعيدة كل البعد عن كونك حشرة صغيرة رخيصة وأعلم أنك تريدين أن تكوني زهرة ذابلة حساسة ونقية طاهرة بحاجة لتكون جزءاً من عائلتنا في هذا العيد للميلاد والا فانه لا مكان لك لكي تذهبي اليه سوى البقاء مع رجل عجوز غامض أشارت اليه بأنه عمك جيمس لكنني واثق بأنه ليس أكثر من جد يقدم لك السكر».

«العم جيمس ليس. . .» بدأت عنبر دفاعها، ثم اقفلت فمها عندما تقدم دايسون فجأة وأمسك بذراعها بقوة.

«ضعي في ذهنك، يا عنبر نيومان، أنك ستقيمين. انني لا أريد من هيلين أن تنظر الي شذراً طوال فترة عيد الميلاد لأنها تعتقد بأن طريقتي هي التي أبعدتك».

«انك لم تخبرها عن. . .»

«عن تسرعك للنوم في الفراش معي؟» ونظر إليها نظرة جعلتها تشعر بالقلق. «لا ترتكبي أية غلطة، انني لن أشعر بأقل ندم اذا لم تلعبي الكرة».

«انك فقط تسوّد نفسك»، حاولت عنبر يائسة لافهامه عن استحالة بقائها.

«هيلين تعلم بأنني لست قديساً بالنسبة الى النساء، علماً بأنني لم أحضر واحدة منهن تحت سقفي من قبل».

«هكذا اذن»، عادت عنبر الى رشدها ووعيها.

«ماذا تقصدين بقولك «هكذا اذن»؟ يا الهي هل تعتقدين بأنني سأكرر تلك التجربة معك؟».

تخلصت عنبر من قبضته، ووجهها غاضب. «كيف تجرؤ على ذلك - كأنني سأعطيك الفرصة!»

«أوه، انك ستعطيني الفرصة، انني أعرف صنفك - يصبن بالجنون من أجل أي شيء داخل البنطلون. فقط لا تقومي بألعابك الصغيرة مع سيمون - ابتعدي عن غرفة نومه طالما أنت هنا، إنه شاب ويسهل التأثير عليه، وسوف أكرهه اذا تخيلت بأنه وقع في غرامك».

«هل أنت لا تتخيلني كزوجة أخ؟» انفجرت عنبر دون أن تستطيع التوقف.

«اللهم حرّم» قال منفجراً. «احتفظي بخدعك للرجال الذين هم على شاكلتك».

فجأة شعرت عنبر بأنها قد اكتفت. «من المستحيل أن أبقى - ألا ترى ذلك؟ سألت بهدوء. « دعني أذهب يا سيد سيلفر. . .»

و «هل قالت لك هيلين أن اسمي سيلفر؟»

خرجت عنبر عن وعيها لحظة، الى أن أدركت بأنه لم يتم التعارف بينهما. «لا - هيلين قلما تتحدث عن العائلة»، قالت، وشاهدته يطرق مفكراً. «هذا هو اسمك، أليس كذلك؟»

«نعم»، قال مؤكداً، «وبما أن هيلين لم تخبرك، وتعلمين بأن هيلين تحفظ الكثير من الأسرار، فما هو الشيء الآخر الذي تمكنت من معرفته عنا؟»

لم تكن لديها أية فكرة الى ماذا يهدف، لكن نظراً لأنه تخلى عن تلك النغمة الساخرة، فانها اعتقدت بأن هناك فرصة بأن يوافق على عودتها الى اكسيتر، ورأت بأن لا سبب يدعوها لتقول له ما أخبرها به العم جيمس.

«ان العم جيمس قال بأنه يعتقد بأن اسمك سيلفر عندما ذكرت له بأنني سأذهب الى منزل هيلين في ايلدريدج بانك. قال بأن احوالك على ما يرام، و. . .»

«على ما يرام؟» ماذا تعتقدين العم جيمس يقصد بذلك؟

ان الطريقة التي ذكر بها كلمتي «العم جيمس» لم تعجبها، لكنها لا تريد أن تخلق مشكلة. «حسناً، اعتقد أنه يقصد بأنك ثري».

«غني، أنت تعتقدين»، كرر دايسون سيلفر. «وماذا اعتقد عمك عندما أخبرتيه أنك ستأتين الى هنا للاقامة؟»

«اعتقد أنها فكرة جيدة». أجابت عنبر ببراءة.

«سأراهن بأنه اعتقد أنها فكرة جيدة!» قال وكأنه يبصق عليها. ولما كانت عنبر لا تستطيع أن تفعل شيئاً سوى النظر اليه كأنه على وشك الجنون، اتسعت عيناها العسليتان في خوف مفاجيء.

«لست...» بدأت لتقول.

«انني متأكد بأنك لا تدرين»، قال معترضاً. «لماذا تعتقدين أن هيلين لم تذكر عائلتها؟» لماذا؟ لأنها تعرف أن ثلاثتنا ـ أنا، وهيلين وسيمون عندما يبلغون الخامسة والعشرين هم عرضة لصيادي الثروات، والمنقبين عن الذهب وما شابههم».

«وانت تعتقد بأنني منقبة عن الذهب؟» قالت وهي تتنفس بصعوبة، قبل أن يثور الغضب الأعمى، ولأن يديه كانتا لا تزالان على كتفيها، أرجعت احدى قدميها ولبطته على ذقنه لقوة. سمعت صرخته من الألم، فحررت نفسها منه لتنطلق نحو شنطتها وتخرج مسرعة من الغرفة. اعتقدت أن قضاء ليلة مع ذلك الخنزير سيجعله يقول لها كل ما يجب ـ إنها تود أن تراه في جهنم قبل أن تقضي ليلة واحدة في بيته!

كانت قد بلغت رأس السلم عندما أمسكت بها ذراعات قويتان ووجدت قدميها تسيران في الهواء. راحت تركله بقدميها وتضربه بشنطتها عندما أعادها الى الغرفة التي خرجت منها.

رماها على السرير، فشعرت بالألم يقصم ظهرها فيما كانت الكلمات البذيئة تتسارع من بين شفتيه.

«من المؤسف انني لم أكسر ساقك»، قالت عنبر وهي تلهث. راحا ينظران نحو بعضهما بعداء، ثم ضحك دايسون وقال، «أعتقد أن عيد الميلاد هذا سيكون أهم عيد أقضيه منذ زمن طويل».

«بكل تأكيد أنت لا تعني بأنك ما زلت تريدني أن أبقى»، قالت عنبر بسخرية وقد تلاشى غضبها مع ضحكته.

«أنك بكل تأكيد ايتها العاهرة منقبة عن الذهب؟ ربما، لكنني متأكد من شيء واحد، انك بكل تأكيد ستنعشين الأشياء هنا».

نهضت من السرير عندما دايسون سيلفر غادر الغرفة. أوه، كم هي تكرهه! كانت تأمل بأن تصبح جزءاً من عائلة هيلين في هذا العيد للميلاد. نبهتها طرقة على بابها. عرفت بأنه لن يكون دايسون سيلفر لأنه لا يطرق الباب.

«أدخل»، هي قالت.

دخلت شابة تحمل صينية الشاي التي وضعتها على الطاولة بجانب السرير. «الأنسة كمبسي قالت انك ربما تشعرين بقليل من العطش». قالت لها الخادمة وهي تضيف قائلة أن اسمها كان مورين. «الأنسة كمبسي تعتقد بأنك قد تحتاجين لمساعدة لترتيب ثيابك». أضافت الخادمة، وعيناها على شنطة عنبر المقفلة.

اغتصبت عنبر ابتسامة من شفتيها، فمورين لا ضلع لها في الغضب الذي يعتريها لأن دايسون لم يضع الوقت وقال لشقيقته بأنها باقية.

«هذا لطف منك يا مورين، لكنني استطيع القيام بذلك. أشكرك كثيراً على الشاي، مع أن كوباً واحداً يكفي».

راحت ترتب ثيابها دون أن تستغرق وقتاً طويلاً، ورغم أنه ظهر لها بأنها أحضرت نصف ثيابها، فانها تريد أن يكون لديها شيئاً مناسباً لكل مناسبة، فالأشياء التي أحضرتها بدت ضائعة في الخزانة الواسعة. ولما كانت هيلين ترتدي الجينز فقد اختارت عنبر أن تحذو حذوها. إنها ترغب أن تساعد في تزيين شجرة الميلاد، ونظراً لأنها اعتقدت أن الغرفة التي خرج منها دايسون عندما كانت تنتظر أسفل السلم يجب أن تكون غرفة مكتبه، فربما ترحمها الآلهة ويبقى هو هناك هذا المساء.

ارتدت أحدث جينز لديها وفوقه سويتر بيضاء. حملة الصينية التي

أحضرتها مورين وهبطت السلم. سمعت الضحك آتياً الآن من الغرفة التي عرفت بأنها غرفة الرسم، وترددت ماذا تفعل، لأن عليها أن تجد المطبخ لتضع الصينية أولاً.

اتخذت هذا القرار عندما فتح باب غرفة الرسم وشاهدت هيلين تتراجع الى خارج الغرفة، وسمعتها تقول، «أنت المهرج، يا سيمون»، مما أعلمها بأن سيمون عاد إلى البيت. ثم أغلقت هيلين الباب واستدارت لتراها هناك.

«آه، عنبر، كنت على وشك القدوم للبحث عنك». أخذت منها الصينية وهي تقول لها، «لست بحاجة لانزالها إذ على مورين القيام بذلك، لكن تعالي إلى المطبخ لكي أعرفك على السيدة راندل، مدبرة منزلنا.

تبعتها عنبر الى الأسفل، واستدارت في النهاية الى اليمين لتنزل عدة درجات الى المطبخ الكبير. كانت مورين هناك مع بعض النسوة، واستدارت هيلين لتقدمها الى امرأة صغيرة نظيفة بدت في الخمسينات ن عمرها.

«هذه هي جين»، قدمتها هيلين الى عنبر.

كانتا خارج باب غرفة الرسم عندما توقفت هيلين وضغطت بلطف على ذراع عنبر وقالت، «انني مسرورة لأنك قررت البقاء»، وكان هناك المزيد من الاخلاص في صوتها، ثم فاجأتها بالقول، «ان دايسون سيثبت لك خلال اقامتك كم هو يريدك أن تكوني معنا».

كانت غرفة الرسم جميلة ومفرحة، وجدرانها مزخرفة. عند النافذة كان هناك شاب عرفت من وصف هيلين له بأنه سيمون. كان دايسون هناك أيضاً، وتركزت نظرات عنبر عليه، لكنه كان بعيداً لكي تلاحظ التعبير في وجهه مع أنها عرفت بأنه أخذ يملأ نظريه بالجينز والسويتر اللذين ترتديهما.

«اللعنة!»، قال سيمون. «لقد وضعنا جنية فوق، لكن طالما أنا حي وأتنفس فأنت حقاً شيء من الأحلام».

ابتسمت عنبر بصورة طبيعية، لقد أرادت أن تضحك على تصريح سيمون، لكن نظراً لأن دايسون في الغرفة فقد تمالكت نفسها. ان سيمون على نقيض شقيقه من أمه.

«هذا هو سيمون»، قدمته هيلين إليها. «يجب أن أحذرك، إنه خجول جداً». قالت هيلين.

مدت عنبر يدها، وأمسك سيمون يدها وهو يقول بعد أن سحبها تحت الضوء، «إنه يناسبك يا عنبر، أن شعرك مثل...»

«ان كلمة عنبر تعني أيضاً «كن حذراً»، جاء صوت دايسون في تلك اللحظة، وقد اعتقدت عنبر أنها الوحيدة التي لاحظت اللسعة في كلمات دايسون، لأن كلا من هيلين وسيمون كانا يبتسمان.

بحلول موعد تقديم العشاء كان أكثر من نصف الشجرة قد انتهى. لقد كانت شجرة ضخمة، فلو كانت أصغر لضاعت في هذه الغرفة الكبيرة، وبعد تناول العشاء عادوا جميعاً الى الغرفة لمواصلة التزيين.

وعندما دقت الساعة العاشرة قال سيمون، «انظروا هناك»، وكان قد وضع الجنية على قمة الشجرة. لم يكن يخاطب شخصاً معيناً، لكنه كان ينظر الى عنبر.

«انها تبدو جميلة»، قالت عنبر بصوت أجش. ثم اردف سيمون يقول، «انني قد أقع ولن يكترث أحد لا هيلين ولا دايسون».

«إذن وداعاً فلن يقلق أحد لو وقعت على رأسك»، قالت هيلين، فضحك الجميع.

«من أجل هذه الملاحظة، يمكنك أن تذهبي غداً إلى الكنيسة وتطلبي الصفح»، قال سيمون، وهو ينزل عن الشجرة.

ابتعدت عنبر عندما وصل سيمون الى الأرض سالماً. «هل توجد كنيسة قريبة من هنا؟» سألت عنبر.

«هناك واحدة في القرية على بعد حوالي نصف ميل من هنا»، قالت هيلين لها. «إن آرثر، زوج السيدة راندل، يغني في الكورس هناك. ان له صوتاً جميلاً»، أضافت هيلين.

عند العاشرة والنصف تثاءبت هيلين وقالت، «اسمحوا لي انني ذاهبة الى الفراش». وقفت عنبر على قدميها وهي تفكر بأن تحذو حذوها.

«لم يعد لي الكثير للبقاء من أجله اذا اختفيت أنت»، قال سيمون لعنبر، وهو يتلقى نظرة خصام من شقيقه.

ما قاله دايسون رداً على ذلك لم تكن لدى عنبر فكرة عنه، لأنها قالت لهما تصبحان على خير، وغادرت الغرفة مع هيلين.

نظرت عنبر الى هيلين التي بدت بأنها تقرأ التعبير على وجه عنبر الذي يقول لو لم تكن هي هنا، لما أطلق سيمون تلك الملاحظة التي قد يؤدبه عليها دايسون.

«لو لم يكن ما قاله سيمون لك، لكان هناك شيء آخر»، تنهدت هيلين.

دخلت عنبر الى غرفتها وهي مسرورة. وبعد عشر دقائق سمعت وقع أقدام تجتاز غرفتها. اعتقدت بأنها خطوات سيمون. بعد بضع دقائق سمع صوت شخص آخر يأوي الى الفراش. اعتقدت أنه دايسون.

لم تعد هناك من حاجة لدى عنبر لتفكر كثيراً.

وفي لمح البصر وصلت الى الثوب الذي لبسته في ذلك اليوم لا حاجة لتغيير السويتر. وبسرعة ارتدت تنورة وجاكيت وقد قررت أن تخرج. وقفت تصغي عند بابها، كل شيء هادىء. فتحت بابها، وشاهدت ضوءاً خافتاً قادماً عبر السلم مما يعني أن القاعة تركت

مضاءة. وبخفة نزلت السلم على رؤوس أصابع قدميها، وأطلقت زفرة عندما شاهدت أن الباب الأمامي لم يوصد.

فقط عندما أصبحت في الخارج، الباب الرئيسي للبيت أغلق خلفها بهدوء، وبدأت تتنفس الصعداء. لكنها ما أن خطت عدة خطوات حتى جاءها صوت عبر الظلام جعلها تقفز من جلدها.

«اذا كنت تخططين للهرب، فقد نسيت شنطتك»، قال لها دايسون سيلفر.

«أنت!» همست عنبر.

«نعم أنا. هل انزعجت في نومك يا آنسة نيومان؟ لم تقولي لي بأن ضميرك المذنب يبقيك متيقظة؟» لم تخطط عنبر لتجيبه بأي شيء. «أو هل جئت للقاء شريكك في الجريمة؟» قال بصوت قاسٍ.

«شريكي في الجريمة؟» قالت عنبر مرددة.

«انني واثق بأنك تضربين تلك العينين العسليتين الكبيرتين عليّ، لكنك تضيعين وقتك يا آنسة نيومان. حتى لو انني استطيع رؤيتك، فلا فائدة».

«لا فائدة؟» قالت عنبر وهي تلملم اطرافها، وتردد كل ما يقوله كالببغاء. «انني لا أقابل أحداً». قالت له بحزم. «هل اعتقدت انني خرجت إلى هنا لأخبر شريكي في الجريمة اين يمكنه أن يختطف مجوهرات العائلة؟» قالت عنبر.

لا . . .؟» قال مستعلماً. «ان الليل بارد، يا آنسة نيومان». وسلط المصباح عليها والذي لم تكن تعلم بأنه يحمله، واغمضت عينيها عندما وقع عليها شعاع المصباح. «انك مرتدية ثيابك محتاطة للطقس، سأقول لك شيئاً، لكن لو انك لم تتسللي خارج البيت للقاء شخص ما، هل سيكون كثيراً لو طلبت منك ايضاحاً؟».

قرأت بأنها مهما قالت له فلن يصدقها. أطفأ المصباح، لكن ليس قبل أن تراه مرتدياً جاكيتاً من الجلد. لقد اشتبه بأنها ستخرج متسللة من الباب الأمامي. هل كان في انتظارها؟.

«انني أعلم بأن وجهة نظرك خاطئة يا سيد سيلفر، لكن السبب الوحيد لتسللي من البيت هو أنني لا أريد أن ازعج أحداً».

«تماماً».

شعرت بالغضب، فالوقت يمضي ولا وقت لديها للجدال اذا كان عليها أن تصل إلى الكنيسة في الوقت المحدد.

«هل تريدين أن تقولي لي لماذا خرجت، أو أنك ستقفين هنا طول الليل؟ اياً كان الذي جئت إلى لقائه سيدرك بأن خططك قد باءت بالفشل».

إنه سيبقيها واقفة هنا طول الليل أيضاً، زفرت واستجمعت قواها وقالت، «انني لن أقابل أحداً، ثم شعرت بالغضب، لأنها تريد أن تقوم بواجب الوفاء لأمها وأبيها بغض النظر عما يوجهه لها من اهانات، «اذا كان من الواجب أن تعرف، فأنا في طريقي إلى الكنيسة.

«الكنيسة؟» أجاب ونغمته غير مصدقة.

«نعم، الكنيسة، واذا لم أذهب الآن فسأصل متأخرة»، كررت قولها.

«هل تعرفين أين هي؟».

«لقد اخبرتني هيلين بأنها غير بعيدة عن الشارع الرئيسي».

خيم الصمت عدة ثوان، واعتقدت عنبر بأنه سيخلي سبيلها الآن، لكنه سألها، «ما هو الحافز الفجائي للذهاب إلى الكنيسة؟».

«انني دائماً اذهب إلى الكنيسة ليلة عيد الميلاد» قالت، ووجدت نفسها تضيف، «إنه شأن عائلي». ثم لأن هذا أمر هام بالنسبة اليها وقد

عرفت بأنها ستتأخر اذا لم تتحرك الآن، قالت، «أرجوك يا دايسون، أرجوك دعني أذهب».

مرت لحظات دون أن يتحرك، ثم قال لها، «انني سأفعل اكثر من ذلك، سآخذك إلى هناك بنفسي».

«أنت!» قالت بتعجب.

«نعم، أنا. هل تعتقدين بأنني لا أعرف أين تقع الكنيسة؟» وبدون أن ينتظر جوابها قال، «انتظري هنا، سأحضر السيارة».

رغم أنها لا تريد الذهاب معه، فقد فرحت لأنه قرر أن يصطحبها. وعندما ادار السيارة على طول الشارع الرئيسي المظلم، استدار قليلاً، ثم قام بعدة دورات قبل أن يقترب من كنيسة القرية.

سرعان ما ضاعت عنبر في خدمة الكنيسة ودايسون إلى جانبها، نسيت كل شيء عنه واغمضت عينيها تماماً في الصلاة، أفكارها وصلواتها لوالديها.

عندما خرجا، شعرت بالهدوء الذي فقدته عندما كان دايسون بعيداً. شاهدته يتعرف على عدة أشخاص، لكنه لم يطل الحديث مع أي منهم. سارت معه إلى سيارته، دون أن يقول احدهما أي شيء ما، ثم فتح لها باب السيارة، قائلاً لها، «ادخلي - لن أغيب اكثر من لحظة»، ثم اختفى عن ناظريها.

لم يذهب بعيداً، وفي غيابه راحت عنبر تراقب الآخرين من جموع الكنيسة. فتح باب السيارة من جهة السائق ودخلت موجة هواء باردة مع دايسون، ولدهشتها اعتذر لأنه تركها تنتظر وقاد السيارة.

«ان سيارة آرثر تتعطل أحياناً، وقد ذهبت لاتحقق اذا كان بحاجة لمساعدة، لكنه كان قد اصلح العطل».

«هل كان آرثر هو الرجل ذو الشعر الأبيض في نهاية الصف الثاني

للكورس؟» سألته عنبر وهي تتقبل أن حليب اللطف البشري لدايسون قد امتد إلى زوج مدبرة منزله وليس لضيفة بيته، وذلك قبل أن تدرك بأن لم يكن باستطاعتها بلوغ الكنيسة في الوقت المحدد لو لم يتقدم لايصالها. لقد قررت أن تنظر اليه في ذلك الضوء عندما سمعته يؤكد لها بأنها فعلاً قد عرفت آرثر راندل.

ان شعورها بالاخلاص لكل الرجال كان لا يزال معها عندما أوقف دايسون سيارته أمام الباب الأمامي قائلاً، «أدخلي ـ وسأبعد السيارة».

وضعت عنبر يدها على قبضة الباب، والتفتت إليه قائلة، «أشكرك لأنك أخذتني، والا لكنت تأخرت كثيراً لو حاولت ايجاد الكنيسة وحدي».

«يسرني دائماً أن أقوم بالخدمة» قال لها، وهي لم تستطع أن تستنتج شيئاً من الطريقة التي أطلق بها كلماته، علما بأنها قد أصبحت معتادة على طريقته المذدوجة في الكلام. فتحت باب السيارة وغادرت.

الفصل الخامس

استيقظت عنبر صباح عيد الميلاد عندما دخلت هيلين بصينية عليها كوبين من الشاي. كانت هيلين في فستانها وقالت لها فيما كانت عنبر تحاول النهوض وطرد النوم، «كانت مورين قادمة اليك بالشاي، ففكرت بأن أتناول كوبي معك. انني لا أستطيع أن أظل راقدة في الفراش صباح عيد الميلاد». ثم نظرت إلى عنبر وهي تبتسم وتقول، «انني كطفل كبير، لقد فتحت كل هداياي». وضعت يدها في جيب فستانها وأخرجت طرداً صغيراً ملفوفاً بورقة عيد الميلاد. «هذه لك مني»، ابتسمت وأسقطت الهدية بين يدي عنبر.

«عندي لك هدية أيضاً»، قالت عنبر وهي تقفز بعد ماذا ستفعل بالنسبة لهديتي سيمون ودايسون، ولم تخرجهما من شنطتها.

«أوه، هذا جيد!» قالت هيلين بدهشة، وبدأت كل منهما بفتح هدية الأخرى.

«أوه، يا هيلين، انها جميلة»، قالت عنبر بصوت ناعم، وقد وجدت أن هيلين قد اشترت لها سلسلة ذهبية ناعمة. عرفت أنها باهظة الثمن ولا يمكن مقارنتها بهديتها لهيلين.

«عظيم!» قالت هيلين مندهشة، عندما فتحت هدية عنبر. «شكراً

جزيلاً»، ولم تضع الوقت وأخذت ترش بعض العطر على معصمها. أصرت بأن ترش قليلاً على عنبر، بغض النظر عن الحقيقة وهي أن كلتاهما ستدخلان إلى الحمام سريعاً وتستحمان. ثم رأيت هيلين بأن عنبر تكافح لفك القفل غير المألوف للسلسلة الذهبية وهي تحاول أن تضعها حول جيدها. «دعيني أفتحه» اقترحت هيلين، ثم كلتا الفتاتين تسمّرتا عندما جاء صوت دايسون عند المدخل المفتوح.

«أنتما قديستان، اذن». قال وهو يدخل الغرفة وعيناه على بيجامة عنبر القصيرة، والسلسلة الذهبية حول عنقها. تلوّنت عنبر، أولاً لأنها التقطت خارج سريرها في بيجامتها المحترمة لكنها انثوية تماماً، وثانياً عندما شاهدت نظرته الفاحصة على عنقها.

«أوه، يا دايسون، أنت ملاك!» صرخت هيلين من الفرح مما حول نظره بعيداً عن عنبر، عندما تقدمت هيلين وعانقته على هديته.

انتهزت عنبر الفرصة وبسرعة سحبت فستانها من الخزانة وارتدته. حولت أفكارها بعيداً عن مشاعرها الخاصة فيما كانت هيلين في السماء السابعة عندما اخبرها دايسون بأن اشترى لها معطفاً من الفراء. ثم التوى أنفه وتحول نظره إلى زجاجة العطر المفضل لشقيقته موضوعة على السرير وقال، «ان رائحة هذه الغرفة مثل...».

«دايسون!» قالت له هيلين محذرة. «تذكر بأن عنبر غير معتادة على لغتك الوصفية».

«لقد كنت أريد أن أقول بأن رائحتها مثل - مخدع السيدة». كذب بنعومة. عندئذ مد يده إلى رزمة على طاولة لم تكن عنبر متأكدة من وجودها هناك، وناولها اياها وهو يقول، «عيد ميلاد مجيد، يا عنبر»، دون أن يكون هناك نوع من السخرية التي كانت تتوقعها في صوته، ربما بسبب وجود هيلين.

«هيا أسرعي وافتحيها»، قالت هيلين وهي تحثها وتشعر بمزيد من المتعة مما سيكون بداخلها.

راحت عنبر تفتح الهدية ببطء وهي تتمنى من كل قلبها بأن تكون هدية لائقة وليست نوعاً من السخرية التي تكمن بينهما.

«أوه!» قالت متعجبة، وقد أصابتها الصدمة وهي تنظر في دهشة إلى هدية دايسون لها.

«لقد قالت هيلين بأنك خيالية»، قال دايسون وقد لاحظ أن هديته الثمينة لمجلد «جير آير» قد أخذ بأنفاسها.

. ليست لدى عنبر أية فكرة إذا كانت قد انزلقت لهيلين واعطتها انطباعاً بأنها خيالية، ولكنها كانت كذلك، ولو كانت الهدية من أي شخص غير دايسون، لعرفت بأنها سوف تختزنها طول حياتها.

«انها جميلة»، قالت بصوت أجش. «اشكرك يا دايسون». حان الوقت الآن لتهديه ربطة العنق التي اشترتها له، لكنها كانت ترتجف عندما قالت هيلين:

«ألا تريدين أن تعطيه قبلة من أجلها؟ إنه عيد الميلاد قبل كل شيء!».

اتجهت عينا عنبر نحوه. انها تعرف أنه لا يريد أن يقبلها، وكذلك هي لا تريد، ثم فيما كانت تلك العينين القاسيتين تتركزان عليها، جاءها الانقاذ بدخول سيمون إلى الغرفة.

«ما كل هذا الحديث عن التقبيل؟»، سأل سيمون وفيما كان دايسون يرتدي سروالاً مترهلاً وسويتر، كان سيمون لا يزال مرتدياً البيجاما.

«دايسون أعطى عنبر هديتها لعيد الميلاد، وكنت اقترح عليها أن تعبر عن شكرها باعطائه قبلة»، أعلمته هيلين.

«اللعنة»، تمتم سيمون مرتبكاً. «انني لم أحضر هدية يا عنبر».

«إن ما يجعلنا نتعجب هو أنك آسف لأنك لم تحضر هدية لعنبر، أم أنك آسف لأنك لن تحصل على قبلة»، قال دايسون.

اللحظة التي يمكن فيها لعنبر أن تعطي دايسون هديته قد مرت، ونظراً لارتباك سيمون لأنه لم يقدم لها شيئاً، فانها لم تفكر في اعطائه هديته الآن كيلا تزيد من ارتباكه.

عند الافطار، أخذتها هيلين وجالت معها في أرجاء البيت. أعجبت بالمناظر الطبيعية الجميلة المحيطة بالبيت.

«هيا لنرى الاسطبلات»، قالت هيلين، مع أن عنبر كانت تفكر بأنها ستكون محظوظة بما فيه الكفاية لتعيش في مثل هذه البقعة الجميلة، لأنها لن تمل مثل هذه المناظر الجميلة. لكنها ذهبت مع هيلين خلف البيت دون أن تتذمر. لقد كانت قد تلقت دروساً في ركوب الخيل عندما كانت في المدرسة. ونظراً لاقتراب موعد الغداء فقد قررتا العودة إلى البيت.

بعد الوجبة راحوا جميعاً يستمعون إلى خطاب الملكة على التلفزيون، ثم قال سيمون بأن ظهره سينحني إذا لم يقم ببعض التمارين. «من سيأتي معي في مشوار؟».

«هل ستأتين يا عنبر؟»، قالت هيلين وهي تقف على قدميها. «انني لن أكون قادرة على تناول الشاي وأكل كعكة السيدة راندل لعيد الميلاد إذا لم أقم بالمشي». كانت عنبر تستعد لاحضار معطفها عندما سألت هيلين، «وماذا بالنسبة اليك يا دايسون ـ هل ستأتي؟».

«إن لدي بعض الأوراق أريد الاطلاع عليها»، أجاب دايسون.

«أوه، يا دايسون، ليس في يوم عيد الميلاد»، صرخت هيلين، وعنبر لم تسمعه عندما قال ذلك نظراً لأنها ذهبت لاحضار معطفها، لكنها سمعت هيلين تعود قائلة، «انني أعرف أن الوقت والمد لا

ينتظران رجلاً، لكن في الحقيقة، دايسون...».

لم يبدأ مشوارهم بحماس، لكن عنبر كانت مسرورة لأن دايسون لم يكن معهم، لكنها افتقرت وجوده.

عند عودتهم بعد ساعة، كانت عنبر مسرورة لأنها بذلت مجهوداً. ولأن الريح كانت باردة فانها لم تشعر ببطء الحركة، ونظراً لأن هيلين وسيمون كانا يطلقان النكات من حين لآخر، فقد ضحكوا كثيراً.

«سأذهب وأشرب كوباً من الشاي»، قالت هيلين عندما دخلوا الباب الأمامي، وتركت عنبر وسيمون وهما يصعدان السلم.

«لحظة من فضلك».

أوقفها صوت سيمون وهي تضع قدماً واحدة على أول درجة السلم. نظرت إليه وابتسامة استعلام على شفتيها، ثم شاهدت نظرته فوق رأسها. عيناها تتبعت نظرته، وشاهدت خصلة من نبتة طفيلية تعرف بالهدام تتدلى من الثريا.

«أوه، يا سيمون»، قالت باعياء، وواصلت صعودها للسلم، وهي لا تفكر بأنه كان جاداً.

«ليس بهذه السرعة»، سمعته يقول، وشعرت بألم في أسفل عامودها الفقري عندما سحبها إلى الوراء. ثم راح يقبلها، لكنها شعرت بأن الألم هو اكثر من المتعة التي تنشدها شفتاه. رفعت يديها لكي تبعده، فعرفت أنها فقدت توازنها عندما أبعد شفتيه عن شفتيها كان عليها أن تتعلق به عندما شعرت بوخزة ألم أخرى، اضطرتها لتغلق عينيها.

عندما فتحت عينيها، صعقت عندما رأت دايسون يخرج من غرفته وهو ينظر اليها نظرة احتقار باردة. ثم استدار واختفى عن عينيها وسمعت صوت طرقة الباب.

«المزيد؟» استعلم سيمون، وقد أدرك بأنها لا تبذل جهداً لابعاده.

«إررر. . .»، ادركت عنبر الحقيقة وهي أن سيمون ما زال يطوقها بذراعيه. «لا أعتقد ذلك يا سيمون»، قالت له وهي تغتصب ابتسامة. «تلك القبلة ستدوم لفترة طويلة». خلصت نفسها من بين ذراعيه فتركها.

«سأنتظر هنا»، قال مهدداً عندما صعدت السلم لتخلع معطفها.

جلست عنبر عندما دخلت غرفتها. كانت قد وضعت الدواء في شنطتها، لكنها لم تعتقد بأنها ستحتاجه، ربما سيتلاشى الألم سريعاً. لقد قررت بأن لا تتناول أية حبوب، وقامت عن كرسيها وذهبت لتعلق معطفها. إن عليها النزول إلى الطابق السفلي لأنهم سيتناولون الشاي وستبدو غريبة إذا لم تنضم إلى هيلين وسيمون، وهي لا تريد من هيلين أن ترسل إليها مورين بكوب من الشاي، لأن مورين تعبت في تقديم الغداء، ومن المحتمل أن تستمتع بقسط من الراحة.

بعد أن غسلت يديها ووجهها، نظفت عنبر أسنانها وغادرت غرفتها وهي تعلم أن أي استرخاء في موقف دايسون تجاهها سيكون قد ولّى. ألم يحذرها من محاولة القيام بأي من ألاعيبها الصغيرة مع شقيقه؟ وهي لا تستطيع أن تقول له، أنظر، ان سيمون أمسكني، ولم أستطع عمل أي شيء. إنه لن يصدقها على أية حال.

كانت قد نزلت حوالي ثلاثة درجات عندما سمعت وقع أقدام آتية على طول القاعة. تذكرت بأن سيمون قال لها بأنه سينتظرها، مع أنها لم تصدقه.

هبط قلبها عندما شاهدت دايسون. يمكنها أن تتحمل سيمون، لكن دايسون لا. كان دايسون لا يزال يحتفظ بنظرة الاحتقار الباردة على وجهه، لكن تلك النظرة مختلفة تماماً الآن. تابعت نزولها السلم وهي تريد أن تتجنبه، لكنها شعرت بيده تمسك بها بقوة يستحيل عليها

التخلص منها إذا ارادت الحفاظ على عزة نفسها.

«أظن أنني قلت لك أن تبتعدي عن طريق سيمون»، قال لها ببرود.

«لا»، اجابت عنبر ببطء والغضب يعتمرها. ثم اردفت تقول له، «بما أنك تهتم بشؤون شقيقك الاخلاقية، ربما يتوجب عليّ أن أقول لك بأنني لم أذهب إلى غرفة نومه»، وتوقفت لتضيف بصوت غاضب، «بعد».

لقد أخطأ جفلة الألم التي عبرت وجهها نتيجة الخوف، ورفعها وأدناها من جسمه القوي، ولم تستطع عنبر أن تتذكر بأنها اقتربت منه إلى هذا الحد وجاهدت في سبيل التخلص منه عندما أصابها خوف حقيقي.

«نعم، إنك تبدين خائفة»، قال في أذنها. «إنني أقول لك الآن، أيتها الصغيرة الفحلة المسترجلة، ابتعدي عن سيمون، وإلا فانني سأجعل من الصعب عليك دخول بيت شريف مرة أخرى».

«بيت شريف؟»، رددت عنبر. من أين يعتقد أنها قد جاءت إذا لم يكن بيتاً شريفاً؟ وعندما ادركت ما يقول لها اعتبرت ذلك اهانة لوالديها، ولما كان قد حال بينها وبين استخدام يديها، أرجعت قدمها وصوبت ركلة إلى ساقه التي تعرف أنها ما زالت مرضوضة من هجومها الأخير عليه.

أطلق قسماً عندما اقتربت قدمها من قصبة رجله، واعتراه غضب شديد، واشتدت قبضته على ذراعيها فصرخت من الألم.

«انك تؤلمني!» قالت وهي تئن.

«انني مسرور، أيتها الثعلبة!» ورمى برأسه إلى الامام بشكل عدائي، واعتقدت بأنه سيقتلها، حتى تقدم رأسه كثيراً، واصابها شعور مخيف، لا إنه لا يريد أن يضربها أو يقتلها، إنه يريد تقبيلها.

وفي هلع شديد خلصت يدها اليمنى منه، ورغم أنه ما زال يمسك بيدها الأخرى فقد تمكنت من وضع يدها أمام فمه.

«لا»، همست بصوت خشن، «لا تقبلني».

«أقبلك؟»، كرر دايسون، كان ذلك هو آخر ما يفكر فيه. وفجأة اصبحت عيناه مفكرتان عندما بدا له بأن خوفها قد ازداد لأنه سيقبلها بدلاً من أن يضربها. برقت عيناه بشكل شيطاني وقال لها، «لماذا، عندما كنت حرة بجميلك، تبدين الآن خائفة عند التفكير بأنني أريد أن أقبلك؟».

ذهب بعض هلع عنبر، لكنها ما زالت تريد أن تخترع أي شيء.

«أنا... أنا لا أريد أن أتذكر ثانية»، قالت بصوت أجش.

«تتذكرين؟» قال مستعلماً. «ما الذي لا تريدين أن تتذكريه، يا عزيزتي الآنسة نيومان الشبقة؟».

تركت عنبر يدها أمام فمه، فبكل تأكيد كان قد قبلها من قبل. أو أنه أخذها بدون أن يقوم بهذا العمل؟ هل كان ذلك هو الذي أدى إلى فقدان ذاكرتها تلك الليلة؟ هل كانت مضاجعته لها كمضاجعة الحيوان؟ انها لا تدري - كل ما تعلمه هو انها مسرورة للتعتيم الذي في ذهنها وهي لا تستطيع أن تخاطر بجعله يقبلها ويعيد إحياء ذاكرتها.

«ارجوك»، قالت وهي تبعد يدها. «أرجوك لا تقبلني!».

«هل تعتقدين أن محاولتك الثانية للايقاع بي ستمر بدون عقاب؟» سألها بنعومة، وعنبر لا تثق بنعومة نغمته. «ان هناك شيئاً ما يتعلق بتقبيلي لك يخيفك، أليس كذلك، يا آنسة نيومان الزبدة التي لا تذوب؟ حسناً، لقد حان الوقت للقيام بالشيء الذي تخافينه، فمن يدري، ربما يضع حداً لتشوشك؟».

«لا - أوه لا!» شعرت عنبر بالخوف يسري في كيانها عندما قام

دايسون بوضع كلتا يديها خلف ظهرها بيد واحدة وأمسك ذقنها بحزم بالأخرى. خوفها الأعمى تركها عاجزة، ولم تعد لديها القوة تركله. ثم أخذ رأسه يقترب. المسافة بين فمه وفمها أخذت تقل. «أرجوك لا تفعل هذا، يا دايسون»، قالت متوسلة، ثم صمتت شفتاها، وضاعت كلماتها في حلقها حالمها أطبق فمه على فمها.

شعرت بأنها على وشك الاغماء، وانتظرت أن تعصف بها ذكريات تلك الليلة وتمزقها إرباً - لكن لا شيء حدث. شعرت بأن شفتي دايسون على شفتيها لم تكن قاسية ومتوحشة كما توقعت، بل كانت رقيقة واستدراجية، كأنه أدرك في اللحظة الأخيرة بأنها على وشك الأغماء فبدّل رأيه.

لم تقم بأية حركة للتجاوب معه، بل وقفت متصلبة عندما أطلق رسغيها وطوقها بتلك اليد. ثم أبعد رأسه ونظر بعمق في عينيها كأنه دهش لعدم استجابتها.

هل تجاوبت بدون تحفظ في المرة السابقة؟ تعجبت عنبر عندما حملقت فيه. ثم اصبحت عيناه قاسيتان عند نظرتها البريئة، وانزل رأسه ثانية، وهذه المرة لم يكن هناك شيء لطيف في قبلته عندما أجبر شفتيها على الانفراج وطوقها بكلتا يديه، فشعرت عنبر بومضة تجاوب تسري في كيانها وعندما ضغط جسمه على جسمها، لقد استطاعت أن تشعر بفخذيه تضغطان على فخذيها، وارادت أن تضغط نفسها عليه بمحض ارادتها، ثم حالما احدى يديه تركت ظهرها واستقرت على وركها، أدركت لو أنها تجاوبت معه الآن فانها فقط ستجير ما عرفه عن زلتها الوحيدة، وبأنها كانت سهلة. انزلت يدها ووضعتها فوق يده التي على وركها وسحبتها إلى خصرها، فأصابتها الدهشة لأنه سمح لها القيام بهذه الحركة.

ابتعد رأسه عنها ومرت لحظات صمت ينظران إلى بعضهما، ثم قال لها، «إنك تقبلين كعذراء».

«حسناً، انك تعلم بأنني لست عذراء، أليس كذلك؟» وتمنت لو تنظر في عينيه، لكنها لم تستطع. نظرت إلى صدره الداكن، وسمعت القساوة تعود إلى صوته وهو يقول لها، «انني أعلم ذلك فعلاً».

«ها أنتما»، جاء صوت هيلين فيما كانت عنبر تفتش عن شيء تقوله. «ماذا تفعلان هنا؟» قالت بصوت مندهش قليلاً وهي ترى صديقتها وشقيقها من أمها يقفان متقاربين لبعضهما دون أن ينبسا ببنت شفة. «أوه، انكما تنظران إلى النبتة المتدلية من الثريا». ثم ابتسمت وبدت مسرورة لأنهما كانا على ما يرام مع بعضهما.

«شيء ما من هذا القبيل»، قال دايسون، وهو يلقي نظرة مستصرخة على عنبر لم تستطع هيلين رؤيتها، قبل أن يستدير بدون كلمة أخرى ويذهب إلى غرفته.

لم يكن هناك أحد جائع على العشاء تلك الليلة. «ليس الأمر غريباً إذا أخذنا في الاعتبار ما حشوناه على الغداء». علقت هيلين.

قرر دايسن عدم الانضمام إليهم على العشاء، فتنهدت عنبر من اعماقها. جلست وفيها روح الانتقام. ماذا يعتقد بأنها ستفعل، هل تخلع ثيابها وتطارد سيمون إلى غرفته؟.

«أنا آسفة، يا سيمون»، قالت له وهي تبتسم بفرح لأنه لم يكن له دور في المعركة التي دارت بينها وبين دايسون عندما اختليا مع بعضهما لمدة دقيقتين.

«انني مدعو لحفلة الليلة، وأود أن أسألك إذا كنت ترغبين في الذهاب معي؟».

إن أي شيء آخر هو أفضل من البقاء هنا مع دايسون. فتحت عنبر

فمها لتقول له إن ذلك يسرني، لكنها توقفت عندما تذكرت تهديد دايسون.

«لا أعتقد ذلك يا سيمون»، قالت وهي تحاول أن تجعل صوتها يبدو طبيعياً. «لقد استيقظنا باكراً هذا الصباح وأود أن آوي إلى الفراش باكراً».

عندما غادر سيمون إلى حفلته اختفى دايسون مرة أخرى في غرفته. كان عليه أن ينتظر فلربما غيرت رأيي، اعتقدت عنبر، لكنها كانت مسرورة لأنه لم يجلس معها ومع هيلين وهما تشاهدان التلفزيون لمدة ساعة عندما دقت الساعة معلنة العاشرة، فوقفت على قدمها.

«هل تمانعين لو صعدت، يا هيلين؟».

«لا أبداً، لن أبقى هنا طويلاً بعدك».

لم يكن ذلك حظها فقط، زفرت عنبر، لتغادر غرفة الجلوس عندما كان دايسون يغادر غرفته! حسناً، ان الحظ معها نوعاً ما، اعتقدت، لأنها قررت بأنها لن تعطيه الفرصة ليتجاهلها، وذهبت واجتازته وهي ترفع رأسها عالياً. إنها على الأقل خرجت من غرفة الجلوس قبل أن يقرر الأنضمام إليهما.

«هل تتذكرين؟» أوقفتها نغمة دايسون الساخرة قبل أن تجتازه باكثر من درجتين.

«كنت أسألك إذا كانت قبلاتي قد جعلتك تتذكرين ما كنت تحاولين نسيانه؟ لقد كان واضحاً أن هناك شيئاً ما استطيع أن أثيره».

اعتقدت عنبر بأنه كان مهذباً جداً. ليس ذلك فقط، لكنه ظل وحده لحظات في غرفته يقيّم كل ما حدث.

«أوه؟»، هزت كتفيها دون أن تعير سخريته أي اهتمام. «ان على المرء دائماً أن يحاول نسيان الشيء المنفر.

رأت عيناه تراقبانها باهتمام، فيما كان الغضب يعتمل في رأسه.

«حسناً، على الأقل تعلمت شيئاً ما من التجربة»، قال بشكل منحرف.

«أوه؟»، إنه لا يستطيع أن يعرف أن ذكريات تلك الليلة لا تزال مغفلة كما هي دائماً.

«لقد رفضت دعوة سيمون للذهاب معه إلى الحفلة»، قال لها.

«لا يمكنك أن تظل هناك كل الوقت لكي تراقبه»، ردت عليه، وهي تعتقد بأنه لن يعرف ماذا يمكن أن يحدث بينها وبين سيمون عندما لا يراقبهما. استدارت لكي تذهب، وهي تعتقد بأنها قالت كلمتها الأخيرة، وسمعته يذكرها، وصوته يقطر قرفاً!.

«إنه ليس سيمون الذي اراقبه، انني أبقى عيني على كل حركة تقومين بها، يا آنسة نيومان».

الفصل السادس

وصلت عنبر إلى غرفتها وجلست بتثاقل على كرسي غرفة النوم الصغير. رفعت يديها أمامها، ورأت أنها ترتجف. أوه، هل هناك رجل بمثل هذه السفالة، ولماذا كان هو الذي التقطها تلك الليلة؟ لا يمكن أن يكون هناك رجال عديدون بهذه السخرية المخيفة. تذكرت الصداقة التي استمتعت بها مع هيلين، وتذكرت ما قالته لها بأن دايسون وسيمون سيمسكان بخناقي بعضهما في الدقيقة التي تغادر فيها البيت.

كانت الساعة حوالي الثانية صباحاً عندما استيقظت والعرق يتصبب منها. أسرعت واشعلت النور، وفرحت لأنها وجدت نفسها بأنها لا تزال في نفس الغرفة التي نامت فيها. وكان كابوسها حقيقياً. لقد عادت إلى نورث ويلز ثانية، محاولة الوصول إلى والديها، وتحاول الخروج من الصخرة التي سقطت. لم يكن الحلم جديداً، لكنه مضى وقت طويل دون أن تراه. كان هناك ظلام دامس، ولن يراها أحد أن هي نامت والنور مضاء وإذا لم تستيقظ قبل أن تصل إليها مورين بالشاي في الصباح، فانها قد تدعي بأنها كانت تقرأ وغرقت في النوم.

كانت لا تزال متيقظة عندما أخافتها طرقة خفيفة على الباب. ازداد خوفها عندما دخل سيمون غرفتها.

«لقد شاهدت نورك من تحت الباب»، قال لها ضاحكاً. «هل المقصود به أن يكون نوراً للارشاد، يا عنبر؟» ان شيئاً ما فيما قاله جعله يضحك ثانية، لكن عنبر لم تستطع أن ترى بأن هناك ما يضحك.

«كم فتاة كانت معك؟» قال سألته وهي لا تتمنى بأن تكون مقرفة، لكنها لا تحب أن تكون معه في غرفتها في هذه الحالة.

«قليلات فقط ـ فقط قليلات»، قال محتجاً. «لم تكن هناك فتاة تستحق النظر في الحفلة، يا عنبر. لماذا لم تأتي معي؟».

«لقد قلت لك. انني تعبة».

«لكنك ما زلت مستيقظة».

«كنت نائمة»، كذبت عنبر، «إلى حين دخولك».

«نائمة؟» قال وعيناه تبتسمان لها. «ماذا كان نورك يفعل، إذن؟ هـا ـ لقد أمسكتك» قالها منتصراً، وأوشك على الوقوع.

شعرت عنبر بأنها ممزقة بين الرغبة في النهوض وجرّه إلى خارج غرفتها، وبين الرغبة في الضحك. بعض الرجال مضحكون عندما يسكرون.

«لقد كنت أقرأ، وها هو كتاب هناك»، قالت وهي تشير إليه.

«اللعنة ـ لقد اعتقدت بأن حظي تغير»، تنهد سيمون وهو يتطلع إلى حيث أشارت عنبر، لكنه سرعان ما وقع.

«إش ش ـ ستوقظ كل البيت!».

ضحك سيمون، غير مكترث، ثم عاد ليجدد تقدمه. «انني احبك يا عنبر ـ أنا حقاً، حقاً أحبك».

«وأنا أحبك يا سيمون»، حاولت عنبر أن تتجاوب معه.

«لكنني لن أحبك كثيراً إذا لم تتركني وتعود لتنام. اذهب إلى غرفتك ـ أرجوك يا سيمون!».

«انك لا تريدين ـ حفلة؟».

«لا يا سيمون، انني لا أريد حفلة».

ترنح نحو الباب، وشعرت عنبر بالارتياح لأنه أخيراً سيذهب. راقبته عندما استدار عند الباب. عندئذ بدا بأنه يبذل جهداً ليثبت بأنه يستطيع تحمل المشروب، وقد ادار كتفيه عندما وجدت يده قبضة الباب. ضحكت عنبر عندما فتح الباب وخرج.

عندما استيقظت في الصباح، كانت تشعر أقل كرماً نحو سيمون. هل كلاهما أخوين من نفس الطينة؟ لقد قال دايسون بأنها تتهيج لأي شيء داخل البنطلون، لكنها الآن بدأت تعتقد بأن كلا الأخوين يتهيجان لأي شيء يرتدي تنورة. نهضت واستحمت وارتدت جينزاً وقميصاً. كانت هيلين قد ذكرت لها بأنهم سيذهبون لركوب الخيل. إنها لن تخاطر بالذهاب. إذا كانت هيلين وسيمون سيذهبان للركوب، وبدون أن يذكرا بأن دايسون سينضم إليهما. فانها ستتمشى. ليست لديها الرغبة في أن تترك وحدها مع دايسون، إنه دائماً يدعي بأنه سيحبس نفسه في مكتبه. كما أنها ليست لديها الرغبة في أن تترك وحيدة مع سيمون أيضاً.

قابلت هيلين، ترتدي مثلها، وكانت على وشك الدخول إلى غرفة الافطار. ابتسمت لها هيلين بحرارة وهي تفتح الباب، لكن ابتسامة عنبر الجوابية تلاشت عندما رأت دايسون جالساً إلى الطاولة، والنظرة في عينيه تثبط العزيمة.

كانت هيلين تتحدث بصورة طبيعية وهي تساعد نفسها مع عنبر من الصينية الدافئة، وهي غافلة تماماً عن أي جو بين شقيقها من أمها وصديقتها.

«هل ستأتين للركوب معنا، يا عنبر؟» سألتها وهي تلتهم فطورها.

انها بكل تأكيد لن تذهب للركوب إذا كان دايسون سيذهب. لكن هيلين اسعفتها بقولها لها، «فقط سيمون وأنا، إذا قرر النهوض».

«من المحتمل أن يكون قد أنهك نفسه ليلة البارحة»، قال دايسون، وعيناه على عيني عنبر بنظرة باردة. كانت لديها فكرة بأن هناك شيئاً ما وراء هذا التعليق أكثر مما كان ظاهراً، لكنها قررت أن تتجاهله، مع أنها شاهدت هيلين تعطيه نظرة سريعة كأنها هي الأخرى أيضاً تشتبه بأن هناك معنى ما خافياً.

«حسناً، من المحتمل أن لا يكون قد عاد إلى البيت قبل الفجر بسبب حفلة كيت لانكستر التي ذهب إليها»، قالت وهي تلتفت إلى عنبر شارحة لها. «إن والدة كيت تصنع دائماً شرائح من لحم الخنزير والبيض عندما تقيم كيت حفلة تحسباً لاحتمال بقاء الجميع حتى موعد الفطور».

كان باستطاعة عنبر أن تقول لها بأن سيمون لم يبق لحين الفطور، وأنه كان لا يزال هناك ظلام عندما حضر إلى البيت، وحيث أن هيلين لن يكون لديها أي شك من ناحيتها لو أنها أعلمتها بأن سيمون قام بعملية التفاف إلى غرفتها قبل أن يأوي إلى فراشه، لكنها امتنعت عن قول أي شيء.

كانت على وشك أن تخبر هيلين بأنها لن تذهب للركوب ذلك الصباح، عندما فتح الباب ودخل سيمون.

«صباح الخير، يا سيمون»، قال دايسون، ليذكر سيمون بأنه قد نسي أسلوبه، وليذكر عنبر بأنها لم تلق عليه كلمة تحية أيضاً. لقد عذرت نفسها عندما تذكرت الطريقة التي نظر فيها دايسون إليها.

«صباح الخير»، قال سيمون، وعيناه تتركزان على عنبر، وهو يتمنى أن تنظر إليه، لكن عنبر لا تريد التحدث مع سيمون أيضاً هذا الصباح،

خاصة وأن دايسون يرقبها عن قرب. إنها لم تكن ممثلة جيدة بما فيه الكفاية لتظهر انزعاجها من سيمون، وهي لا تريد من دايسون أن يوجه أسئلة.

«يبدو أن ليلتك كانت ثقيلة»، قالت هيلين عندما رفض سيمون عرضها بتناول بعض لحم الخنزير والبيض.

«انني واثق بأن ليلته كانت ثقيلة»، قال دايسون ببرود، ثم نظر إليه وقال، «لي معك كلمة في غرفتي عندما تعود تماماً إلى أرض الحياة». بذلك خصّ عنبر بنظرة أخرى باردة وخرج من الغرفة.

«من الذي عضّه؟» سأل سيمون عندما أغلق الباب.

«ليس عندي دليل»، أجابت هيلين. «هل حدث معك شيء يا سيمون؟»، ثم ازداد صوتها حدة، «أنت لم تبع المزيد...».

«بالطبع لم أفعل. انني لم أنس آخر...»، انفجر قائلاً حالما أدرك أن عنبر كانت معهما، وكانت هناك لحظة توتر عندما فكرت عنبر أن تترك نصف فطورها لكي تفسح في المجال بين الأخ وأخته ليكملا مناقشتهما على حدة. عندئذ بدا أن سيمون قد عرف بأنها لا تشعر بالراحة.

«هل ستأتين لتركبي معنا، يا عنبر؟» سألها. «أرجوك قولي نعم».

«لا، لا أعتقد ذلك»، اجابت عنبر وهي تنظر إليه. كانت له طبيعة الولد الصغير الذي ارتكب عملاً خاطئاً وهو يتألم لاصلاحه. ابتسمت وهي تقول له، «اعتقد بأنني سأقوم بمشوار طويل جميل».

حاول سيمون اقناعها بتغيير رأيها، لكنه عندما رأى بأنها لن تفعل ذلك، ترك الموضوع وانتهى الفطور وثلاثتهم حول كل شيء وأي شيء.

طوت عنبر فوطة المائدة وهي تستعد للصعود لاحضار جاكيتتها.

«مستعدة؟»، قال سيمون لهيلين.

«ألا تريد أن ترى دايسون أولاً؟» سألته هيلين.

«ليذهب إلى الجحيم»، أجاب سيمون. «انني اريد رأساً صافياً، ولا أريد أن أتخاصم حول أي شيء».

«أوه، هيّا»، راح سيمون يحثها. «انه لا يستطيع أن يشنقنا».

شعرت عنبر بأنها متآمرة وهي تراقبهما يفتحان الباب بهدوء ويزحفان على طول القاعة. شاهدتهما يجريان مجتازين نافذة غرفة الفطور ويبتعدان عن النظر، وقد فكرت باعطائهما المزيد من الوقت قبل أن تصعد إلى غرفتها لاحضار معطفها. على أية حال ماذا يعتقد دايسون نفسه؟.

انتظرت بضع دقائق قبل أن تغادر الغرفة، لكنها لم تجرؤ على البقاء طويلاً في حال اشتبه دايسون من الصمت وجاء ليتحقق. غادرت عنبر غرفة الفطور، وأغلقت الباب بحزم دون أن تفعل شيئاً لتخفي وقع خطواتها. كانت عند نهاية السلم عندما هبط قلبها.

«أريد أن أتكلم معك كلمة».

خاطبتها نغمة دايسون الباردة من وراء ظهرها الذي سرت فيه رعشة من الخوف، قبل أن تتوصل إلى أنها لم تقم بعمل خاطىء. استدارت إليه وهي ترفع ذقنها عالياً.

«أنا؟»، استعلمت وهي تتمنى لو لم يكن طويلاً وتستطيع النظر إليه من تحت أنفها. «اعتقدت أن سيمون هو الذي كان في دفاترك السوداء؟».

«انني مدرك تماماً بأن سيمون قد أصبح في الخارج الآن»، أخبرها دايسون، وغضبه البارد لا يلغي الوقفة المتعجرفة التي كانت تقفها

أمامه. «تعالي إلى غرفتي، يا آنسة نيومان».

وقفت عنبر في أرضها، دون أن تكون لديها أية فكرة كيف عرف بأن سيمون تسلل إلى خارج البيت بدلاً من أن يأتي لرؤيته. ربما فعل سيمون نفس الشيء من قبل. «في غرفتي» كأنه لا خيار لها في هذه القضية... ادارت له ظهرها ووضعت قدماً على أول السلم.

«حسناً، يا آنسة نيومان، ستتحدث في غرفة نومك»، سمعت وقع خطواته خلفها واستدارت بسرعة، وقد اتسعت عيناها للتعبير الظاهر على وجهه. شعرت بأنه غاضب جداً منها حول شيء ما وبدأت تشعر بالخوف من جديد. «انني متأكد بأنك ستشعرين كأنك في بيتك في غرفة نومك - ستتحدث هناك». كان يقف بجانبها، ويده تحت كوعها، يحثها على الصعود معه.

وبدأ الغضب يلتمع بين حناياها، فطردت الخوف منه. انتزعت كوعها من قبضته وبدون كلمة استدارت واتجهت إلى غرفته.

لم تدخل هذه الغرفة من قبل، ورأت، فيما كان دايسون يدخل خلفها ويغلق الباب بقوة، أن غرفته أيضاً كانت كبيرة.

«اجلسي، يا آنسة نيومان».

«انني لن أبق طويلاً».

«اجلسي!» صرخ قائلاً، ودفعها ليجلس إلى جانبها على الديوان.

«لا حاجة لتديرني باليد»، اعترضت، وقد غضبت لتجد نفسها قد جلست حيث لا نية لها في الجلوس.

«يجب أن أعتقد أن جرعة واحدة أخرى من الادارة باليد لم تكن هنا ولا هناك حيث يهمك الأمر». قال بقذارة.

عضت عنبر على شفتها. أي دفاع لديها ضد ذلك؟ «أنت تعرف كل شيء»، قالت له، وهي غير قادرة على الجلوس هادئة دون أن تجعله

يقوم بعمل ما لتدعه يعرف بأنها لا تريد أن يدجنها».

«نعم أنا أعرف، لا أعرف»، وافق هو. «مع انني واثق بأنك تفضلين أن لا أعرف»، هذه المرة بقيت عنبر هادئة. «إنني اشكر الله على تلك الليلة من شهر أيلول الماضي عندما تركتني حرة مع صنيعك. لو لم تكن تلك الليلة، ربما كنت أخذت بالاسلوب المرتاب الذي تتبناه منذ قدومي إلى هنا كصديقة لهيلين».

«بالتأكيد لا؟» قالت عنبر. «بالتأكيد لا أحد يستطيع أن يضع شيئاً على السيد دايسون سيلفر العظيم؟».

تجاهل سخريتها وقال، «انني اراهن بأنك اعتقدت بأنها فترة أعياد ميلاد والكل مندمجون عندما دعتك هيلين إلى هنا وعلمت ليس فقط بأن لديها شقيقين أعزبين بل اكتشفت عن طريق العم جيمس أن العائلة ثرية. ماذا كان يدور في ذهنك أيتها العزيزة الآنسة نيومان غير المريبة؟ هل اعتقدت بأن تضعي كلاليبك على واحد منا؟».

«كلاليب؟»، التقطت عنبر تلك الكلمة، عندما ارادت أن تصرخ في وجهه، لكي تدافع عن العم جيمس حتى آخر رمق.

«الزواج؟»، يا آنسة نيومان ـ الزواج».

«الزواج؟»، سألت عنبر. ثم لما كان قد أهانها بكلامه، «انني لن أتزوج أي منكما لو كنتما آخر رجلين في العالم!» قالت والغضب يعصف بها وهي تحاول النهوض، ثم ازداد غضبها كثيراً عندما وقف ليسد طريقها.

«لن تسنح لك الفرصة»، رد عليها. «لماذا يتوجب على أي منا أن يتزوجك ـ حتى مفترضاً أبعد احتمال لذلك ـ عندما يستطيع كل منا أن يحصل على كل شيء تقديمه دون الحاجة إلى كاهن؟».

شعرت عنبر بالغثيان يصيبها نتيجة كلماته، لكنها سيطرت عليه ـ انها

لن تخرج من هذه الغرفة وذيلها بين ساقيه، كان ذلك بكل تأكيد.

«كلاكما؟» قالت بسخرية.

«كلانا»، قال وقد غاب بعض برودته عندما لم تكترث للغضب الذي لمع في عينيه. «لقد احرقت مراكبك عندما سمحت لسيمون بالدخول إلى غرفتك الليلة الماضية. لو أن الزواج منك دخل في رأسه قبل أن ترحبي به بكل سعادة، إنه لا يميل للزواج منك، نظراً لأنك قدمت نفسك إليه مجاناً».

بكل غموض تذكرت عنبر قوله شيئاً ما من هذا القبيل عن تلك الليلة الأخيرة من شهر أيلول، لكنها كانت أكثر اهتماماً الآن بحقيقة أنه عرف بشكل أو بآخر بأن سيمون دخل إلى غرفتها في الساعات الأولى من هذا الصباح. لقد رأت بكل وضوح أن دايسون لن يصدقها عن الليلة الماضية مهما قالت له.

«ما القضية يا دايسون؟ أنت حانق لأنني لم أرحب بك أنت؟».

سمعته يلتقط أنفاسه، ورأت أن الغضب الذي شاهدته في عينيه قد تحول إلى معدن مصهور، وعرفت أنها تجاوزت ملاحظته عندما نزلت يداه القويتان وأمسكتا بها بقبضة توشك أن تحطم عظامها.

«لا، اللعنة عليك، إنني أستطيع أن امتلكك في أي وقت أريد، وأنت تعرفين ذلك!».

«إنك لن تستطيع»، قالت منكرة بحرارة. شاهدت عيني دايسون تضيقان، وادركت أنه شاهد خوفها. وبيديه لا تزالان على كتفيها جلس إلى جانبها على الديوان، وأدار وجهها إليه.

«لقد قلت لك أن تبتعدي عن طريق سيمون، وإلا فانني سأتأكد من عدم السماح لك بالدخول إلى بيت شريف مرة أخرى»، قال لها، وقد بدت القساوة على وجهه. «استطيع أن أرى الآن بأن ذلك التهديد لم

يزعجك بتاتاً، لكنك أعطيتني الآن فكرة لعقاب أكثر ملاءمة».

خافت وقد عرفت ما يجول بخاطره. «لا» همست بخشونة، «لا، لا تفعل!».

«أوه، لكن نعم»، قال دايسون متوعداً. «انني قد لا أرغب بتوسيخ نفسي بلمسك، لكن بالنسبة لفاجرة بلا أخلاق، فان الفكرة عندي هي أن لمسي لك يملؤك بالرعب، أليس كذلك؟».

«ارجول لا تفعل»، راحت تتوسل إليه، ورأت أن خوفها يزداد، وأنه كان غاضباً جداً ولن يصغي لتوسلاتها.

«هل تعلمين ماذا سأفعل، يا آنسة نيومان؟» قال، وهو يفترس كل لحظة من خوفها منه. «إنني سأضاجعك، مع أن ذلك لن يكون حباً، بل عملية جنسية، تشاورية، بطيئة».

«لن تستطيع»، قالت بخشونة، وهي تبتعد عنه.

«أنا لا أستطيع؟ يجب أن تعلمي قبل كل شيء، يا عزيزتي عنبر، أن الرجل قادر على فتح شهيته الجنسية فقط عند رؤية امرأة عارية».

راحت عنبر تراقبه بحذر، وقد اتسعت عيناها. لقد رفض عقلها أن يفكر، وبدا متجمداً في رأسها. ثم كلمتي. جنس، عارية ـ دخلتا ذهنها، وكافحت في سبيل التخلص من قبضته، وعيناها تنظران بيأس إلى الباب.

«ألم تسمعيني أدير المفتاح في القفل؟» عذّبها صوت دايسون عندما تتبعت عيناه الاتجاه الذي اتخذته عيناها. «لن يزعجنا أحد، وحسب معرفتي فان هيلين وسيمون سيبقيان في الخارج لعدة ساعات».

«دعني أذهب ـ أرجوك، ارجوك دعني أذهب»، راحت عنبر تتوسل إليه، «انني سأغادر رأساً، وسأفعل أي شيء تطلبه، لكن أرجوك، أرجوك لا تفعل...».

«لقد وجهت إليك تحذيراً عادلاً، قال لها.

«لكن سيمون وأنا لم نفعل...» بدأت تقول وقد شعرت بأنها تسحب نحوه.

«أقفلي فمك، وواسي نفسك بأنك لن تخرجي من هنا إلا بعد أن...» وترك الكلمة الأخيرة معلقة في الهواء. عندئذ عرفت أن وقت التوسل قد انتهى. «هيّا»، قال وقد جعله يبدو علاجاً على فراش تقريباً. «هيا تعالي ودعينا نبدأ بالعقاب».

«لا!» صرخت، وكان ذلك كل ما لديها من وقت لكي تقوله، فقد أخذت قدميها منها ووجدت نفسها ترقد إلى جانبه، ورأسه يهبط ليقابل رأسها.

قاومته كقطة برية، لكن قوتها كانت لا شيء اذا ما قورنت بقوته. شعرت بفمه يهبط فوق فمها وحاولت أن تعضه، لكن كل ذلك جعله يستفيد من فمها المفتوح، وفمه كان على فمها، مما جعله يسرق منها قبلة لم تذق مثلها من قبل. ثم غادرت شفتاه شفتيها عندما راح يداعب رقبتها، وبعد ذلك عاد بوحشية إلى فمها، والشعور بفمه يتحرك فوق فمها جعل مقاومتها يائسة. لم تستطع أن تتنفس، واعتقدت بأنها على وشك الاغماء. «إبقي هكذا، يا عنبر»، سمعته يتمتم فوق شفتيها، «انني لن أجد أية مشكلة لكي أتهيج مع واحدة مثلك».

وبصورة هيستيرية خطرت لها فكرة بأنه فقط لو رقد إلى جانبها بصورة سلبية فان باستطاعتها أن تهزمه، فانه بالرغم مما قاله بأن الرجل تفتح شهيته الجنسية رؤية امرأة عارية، ومع أن قسماً منها بدا في القليل الذي تعرفه عنه فان الحال لن يكون كذلك إذا استطاعت هي أن ترقد ساكنة وتجعله يعتقد أن باستطاعته أن يفعل بها ما يريد. لكنها خافت كثيراً أن تفقد سيطرتها بالرقود فقط وتعرض نفسها للخطر.

ابتعد فم دايسون عن فمها فأخذت مقاومتها زخماً جديداً عندما راح يفك الزر العلوي لقميصها. هل كانت هكذا في تلك الليل؟ لكنها لم تتذكر شيئاً. عندئذ، لفزعها، لم تعد راقدة في حضنه، بل تحته على الديوان العريض. شعرت بفخذيه ثقيلتين على فخذيها وحاولت أن تخرمشه في وجهه، لكن بدا بأن لديه يدين ضعفي يديها عندما أمسك معصميها بيد واحدة ورفعهما فوق رأسها، فظهر ثدياها مشدودين تحت قماش قميصها.

«دعينا نرى ما تخفينه من ملذات، يا عزيزتي عنبر»، قال بصوت أجش. تململت عنبر بجسمها، متجاهلة شعود الألم في أسفل عامودها الفقري، لكنها لم تستطع أن تنسحب من تحته. «ظلّي هكذا، يا عزيزتي»، تنفس دايسون بهدوء، وقد امتدت يده إلى الزر الثاني في قميصها، «أن حركة جسمك لها انطباع مميز على حوافزي الجنسية».

ظهر هدفه واضحاً عندما راح يعدّل من وضعه، وأصبحت عنبر تحته، واخبرتها نظرته بأنه قد عرف ما تهدف إليه، فقال لها، «الآن، يا محبوبتي، لديك البرهان بأنني لا أمزح»، وبذلك كان قد فك الزر الثاني. حتى الآن لم يلمس جسمها بيديه، لكن عندما فك الزر الثالث، شعرت بمفاصل أصابعه تداعب ثديها، فراحت تتوسل إليه من جديد.

«أرجول، يا دايسون، أرجوك، قالت متوسلة. «لا تفعل هكذا ـ انك تقتلني!» اتسعت عيناه، وعرفت عنبر أن هناك شيئاً ما في داخله يدل على أنه سيكمل مسعاه.

بعد ذلك مزقت يده قميصها، وكانت صدريتها مفكوكة، فغرقت في خضم الارتباك والعار، ويداه لم تلامسا جسمها بعد. حرك دايسون

جسمه ليجلس منفرج الساقين فوقها، وكان وزنه ثقيلاً على فخذيها عندما نظر إليها والشهوة في عينيه.

«ان ثدييك جميلان ـ جميلان جداً! إنهما أجمل ما رأيت»، بدت كأنها قد سحبت من تحته، وبدا أن قسماً من حرارته قد غادره عندما حنى رأسه، كأنه يقدم فروض الطاعة، وقبل كل حلمة من حلمتيها.

عندئذ توقفت مقاومة عنبر له. لم تكن لديها أية فكرة إذا كان ثدياها أجمل من ثديي أية امرأة أخرى، لكن كانت هناك فترة سكون، فهمست قائلة «دعني أذهب، يا دايسون؟» لم يكن هناك توسل، لكن صوتها كان أجشاً. لكنها ادركت بأنها عبثاً تحاول.

«أريد أن ألمسك ـ أن أحملك»، قال المذهول. «انني لا أريد أن أشوه جسدك الجميل». بدا بأنه يركز نظره على ثدييها ووجهها.

«رغم ذلك فأنت تشوهني، أليس كذلك؟» همست قائلة. «وأعتقد بأنك تشوه نفسك أيضاً، يا دايسون»، لم تكن تدري كيف عرفت ذلك، لكنها في تلك اللحظة كانت متأكدة بأن ذلك كان صحيحاً.

نزلت يده ببطء كأنه كان خائفاً من أن يختفي جمالها من أمامه إن هو تجرأ ولمس ثدييها، والتقطت عنبر انفاسها عندما حامت يده فوقها، قبل أن تأتيه السيطرة من مكان بعيد. وفيما كانت تنتظر تلك اليد المعذبة أن تلامس جسدها الناعم، توقفت تلك اليد عن الدوران، لكن بدلاً من أن تقترب نحو ثديها، اتجعت إلى عنقها وهو يتمتم قائلاً:

«أيتها الكلبة الساحرة». اشتدت يده على عنقها، وامتلأت عيناها بالدموع قبل أن يرفع قبضته. «رتّبي نفسك واغربي عن نظري».

لم تصدق عنبر ذلك عندما قام من فوقها واتجه إلى النافذة وظهره باتجاهها. وللحظة ذهول ظلت راقدة لا تفهم شيئاً، ثم بادرت إلى العمل قبل أن يبدل رأيه. وفي لمح البصر نهضت عن الديوان،

وأقفلت صدريتها، وباصابع مرتجفة جمعت أطراف قميصها على صدرها. كانت عند الباب، تدير مفتاح القفل، عندما جاءها صوته من جديد.

«جربي مع سيمون مرة أخرى ولن أتوقف في المرة القادمة»، قال مهدداً، واستدار وعيناه على قميصها، ونظر إلى ثدييها اللذين دعاهما بالجميلين وقد اختفيا عنه مرة أخرى. «انت تعرفين ما تتوقعينه إذا لم تحسني سلوكك».

لم تنتظر عنبر لتسمع المزيد، ركضت عبر الباب، وعلى طول القاعة، ووضعت قدمها على أسفل السلم قبل أن ترشدها مشاعرها الثائرة بعيداً وإلى الباب الأمامي. يجب أن تبتعد عن غرفة نومها حتى مجيء هيلين وسيمون، فكرت في فوضى. لقد اعتقها دايسون، لكن لا حاجة للقول بأنه لن تكون لديه افكاراً أخرى فيأتي للبحث عنها.

كانت ترتجف، ووجدت نفسها في الخارج، وشعرت ببرد كانون الأول يصيبها، لكنها عرفت بأن لا شيء يعيدها إلى البيت، على الأقل، ليس بعد أن ترى هيلين وسيمون. في الوقت الحاضر هي بحاجة للابتعاد عن دايسون بأسرع ما يمكن. بمحض اختيارهما قادتها قدماها إلى الاسطبلات.

لو أن بيل فورد، أحد عمال الاسطبل، شاهد هذه الفتاة تخرج في هذا اليوم البارد بالجينز والقميص لأعتقد بأنها مجنونة. ماذا سيخطر بباله لو سألته إذا كان لديه حصاناً تستطيع أن تستعيره!.

«هناك بلوبيل وهاي نون»، قال لها بعد لحظة تردد. «ان ريد دايموند في راحة لأنه كان ضعيفاً الأسبوع الماضي».

لمعت عينا عنبر على الحصان الفحل العظيم، ريد دايموند، هكذا اعتقدت، لكن بيل فورد، تابع نظرتها، وقال لها مصححاً.

«انه ثندربولت، حصان السيد» قال لها. ترددت عنبر، لكنه قال لها، «من الأفضل لك أن تأخذي الفرس بلوبيل إذا كنت لم تركبي منذ فترة - إنها سيدة لطيفة».

راح بيل يسرج الفرس بلوبيل، وفرحت عنبر لمساعدته لها على الركوب. وببطء، اعتادت على احساس بلو بيل تحتها، واتجهت نحو ساحة الاسطبل. شعرت بالهدوء، لكن سرعان ما التهب وجهها لأن دايسون كان على استعداد ليعريها من ثيابها، لكي يغتصبها عندما ادرك مدى خوفها منه عندما اقترب منها.

بدأت تشعر بمزيد من الدفء وهي تجرب مقدرة بلوبيل على الجري، ثم بدأت الفرس تسير في خبب. شعرت عنبر بألم حقيقي في ظهرها. ان عليها أن تعود. ادارت الفرس باتجاه البيت.

لم تعرف عنبر كم استغرق وصول بلوبيرد إلى ساحة الاسطبل. ان ما عرفته هو أن كل حركة من حركات جسم الفرس تحتها كان سكينا يتغلغل في جسمها. نسيت حساب الوقت وهي تدخل الفرس، وقد شعرت بالراحة نتيجة سكون الحركة. غادرها الألم ثانية وهي تجول بعينيها بحثاً عن بيل. انها تريد مساعدته للنزول عن ظهر الفرس لأنها لن تسمح لنفسها بالوقوع. أوه، أين هو؟.

ارتفعت معنوياتها عندما سمعت وقع خطوات قادمة من الساحة. راحت تنادي وهي تبتسم. إنها لا تريد أن يعلم أحد بمدى شعورها. ثم مع اقتراب وقع الخطوات وظهر أخيراً شكل رجل يلف الزاوية ويدخل إلى ساحة الاسطبل، لكن ابتسامتها تلاشت بسرعة. ان الرجل الذي رأته عندما رآها، لم يكن بيل فورد، بل كان دايسون سيلفر، وكلما إقترب منها، كلما بان الغضب على وجهه.

كان في ثياب الركوب، ولما كان سوطه شريراً، يا رب هبني القوة

لأتحمل ضربته على حذائه، لأنه كان لدى عنبر شعوراً بأنه كان يتمنى لو ينهال السوط على ظهرها.

«هذا أنت أيتها الحمقاء!» صرخ في وجهها وهو يقف على بعد خطوتين منها وقد شاهد كم كانت زرقاء من شدة البرد. «انت حمقاء دموية غبية ـ ألم يعد لديك أي احساس لكي تخرجي للركوب في هذا الطقس وأنت ترتدين هكذا؟.

الفصل السابع

تجاهلها دايسون وأمسك بلجام بلوبيل. «هيا انزلي من هناك، واسرعي إلى البيت وخذي حماماً» قال لها آمراً. «انني انتظر بيل».

«هل هناك شخص آخر ببنطلون لا تستطيعين تركه وحيداً؟» سيطر دايسون على اعصابه، وتجاهلته عنبر. «هل ستنزلين أو تنتظرين أن اسحبك إلى أسفل؟» كانت هناك سخرية ناعمة في صوته الآن. «انني كما اذكر، أنت لا تتحملين أن ألمسك. هيا انزلي!» قال وهو يأمرها.

«سأنزل عندما تذهب».

لم يضع دايسون الوقت لمزيد من المناقشة، واقترب منها. «لا تلمسني!» صرخت قبل أن تصل يداه إلى خصرها، وقد سببت لها حركة تراجعها عنه ألماً مبرحاً في ظهرها، وبدا وجهها شاحباً. لكنها أبقت عينيها على دايسون، وكان هو الآخر قد تغير لونه.

«يا الهي! هل لمستي تضرك إلى هذا الحد؟».

«لا... ليس الأمر كذلك»، وجدت عنبر نفسها تعترف عندما لم يكن لديها قصد لتربح باله إن هو اكتشف فجأة بأن له ضميراً في معاملته لها.

«اللعنة عليك، إنك تصبحين أقرب إلى الهيستيرية كلما اقتربت

منك». راحت تتوقع منه أن يسرج ثندربولت ويذهب.

وعاد يقول لها، «اذهبي إلى البيت وخذي حماماً».

«إنني... انني ألمت ظهري» قالت أخيراً.

«هل وقعت عن بلوبيل؟» كانت نغمته تقول بأن ذلك مستحيلاً.

«لا، انه... إنه جرح قديم»، وعندئذ لأنها حازت على كل اهتمامه الآن، وبطريقة أخرى شعرت بالراحة لتقول له، «أنا ـ أنا اعتقدت بأنه لن يؤلمني عندما...».

«إذن هذا هو سبب عدم ذهابك للركوب مع هيلين وسيمون، أليس كذلك؟» ثم أضاف بدهاء قائلاً «لكنك أردت الابتعاد عني قدر الامكان».

لم تجب عنبر لانها لا تستطيع انكار ذلك. قرر دايسون بوضوح الآن بأن الوقت لا يسمح بمزيد من المناقشة. «من الأفضل أن ننزلك الآن من هناك»، قال لها، ويداه صعدت مرة أخرى وهذه المرة استقرتا على خصرها.

«لا تحركني»، قالت عنبر بسرعة. «إذا... إذا بامكانك أن ترفعني وأنا ثابتة...».

«حسناً»، قال لها، وقد دهشت من اللطف في نغمته. «لن اكسرك، تقدمي نحوي على مهلك».

اتكأت عنبر عليه. لقد عرفت بدون أن تحاول بأنه سيكون من المستحيل عليها أن ترفع ساقها فوق السرج. ثم ببطء، ومع أخذ دايسون المزيد من ثقلها، وضعت ذراعها حول عنقه وقد فرحت عندما لامس وجهها وجهه، وأنه يستطيع أن يرى الألم في عينيها لأنها لم تعد تستطيع اخفاءه.

سأرجع خطوة إلى الوراء وآخذك معي «قال لها دايسون، هل أنت مستعدة؟».

«مستعدة»، قالت عنبر، وتمسكت به وهي تفترق عن بلوبيل وكانت تستريح عليه وذراعيها ما زالتا حول عنقه.

«إنك تتألمين، اليس كذلك؟» قال دايسون وهي تنفصل عنه.

«يبدو أنني غير قادرة على الوقوف وحدي» همست قائلة.

عندئذ لم تكن لديها حاجة لتحاول وتقف، لأن دايسون حملها بين ذراعيه بلطف شديد ولم يضع المزيد من الوقت وهو يحملها إلى داخل البيت. لم تتكلم ثانية إلى أن حملها إلى غرفة نومها، وهناك وضعها على كرسي غرفة النوم الصغير، قبل أن يذهب إلى الحمام. استطاعت عنبر أن تسمع جريان ماء الحمام، لكنها للحظة كان يكفي فقط أن تجلس هناك ولا تشعر بأي ألم.

«انني سأحضر السيدة راندل لتراك بينما أقوم باحضار الطبيب» قال بوجه عابس.

«لا!»، قالت عنبر بحدة، وجعلت دايسون ينظر إليها. «أرجوك لا تزعج أحداً ـ أرجوك، يا دايسون!» ثم اردفت تقول بسرعة، «ان لدى السيدة راندل ما يكفي للقيام به، وعلاوة على ذلك، فانني أشعر بأن ذلك كان بسبب حماقتي».

تربع دايسون إلى جانبها ليستطيع رؤية وجهها وقال، «اعتقد أنني الملام بصورة جزئية، أليس كذلك؟».

إحمرّ وجهها، ولم تستطع النظر إليه. «أرجوك»، قالت ثانية. «سأكون على ما يرام حالما أرتاح، لقد حدث لي شيء مشابه من قبل».

«حسناً»، قال موافقاً. «سأتركك على طريقتك مع السيدة راندل - لكنني أصر على احضار طبيب لك».

«ان طبيبي في اكستير ولا أريده أن يتحمل مشقة الطريق لكي يراني فيما أعلم بأنني سأكون على ما يرام قبل وصوله إلى هنا»، قالت عنبر بعناد. لكنها وجدت بأن دايسون يعادلها عناداً.

«لا حاجة لكي تستدعي طبيبك. سأطلب إلى طبيبي أن يحضر ويلقي عليك نظرة»، قال كأن المناقشة بكاملها قد توقفت. «لقد قلت بأن الألم الذي تعانين منه هو نتيجة اصابة قديمة. اعطيني اسم طبيبك وسأطلب من الدكتور فارلي أن يتصل به هاتفياً ويتعرف على تفاصيل حالتك قبل حضورهَ إلى هنا».

رغم ارادتها وجدت عنبر نفسها تقول له، «إنه الدكتور كريسويل»، وعندما سمع دايسون منها هذه المعلومات، ذهب إلى الحمام وأقفل الحنفية وعاد إليها، وساعدها على الوقوف. شعرت بأنها ستبدو مثل أحدب نوتردام أن هي حاولت المشي، وقد فرحت عنبر عندما حملها دايسون، وأجلسها على كرسي الحمام.

«انني سأكون على ما يرام بعد الحمام»، قالت وهي تشعر بالتوتر عندما وجدت فجأة بأنه لم يذهب ويتركها لشأنها.

«دعينا نأمل ذلك»، قال بسهولة، وبدون تردد نزلت يداه إلى اسفل لمساعدتها على خلع ثيابها.

«لا!»، قالت بحدة. «انني أستطيع أن أتدبر أمري».

«انك لا تستطيعين أن تتحملي أن ألمسك، هل يمكنك؟».

«لا، لا استطيع»، قالت بسرعة. لكن ليس للاسباب التي اعتقدها. لقد كانت تدرك بأنه ليس هناك شيء جنسي في لمسته هذه المرة. كان هدفه مساعدتها حيثُ لا تستطيع مساعدة نفسها. لكن لا أحد سوى

هيئة المستشفى، والعم جيمس كطبيبها، قد شاهد تلك الندوب عند أسفل ظهرها، ونظراً لأن دايسون لم يكن مدركاً لاصابة ظهرها حتى أخبرته هي، فإنه يجب أن يكون قد ضاجعها تلك المرة حتى بدون أن يراهم. لقد اعتقد بأن ثدياها جميلين، وانتفضت لأنها لا تريده أن يعرف بأن بقية جسمها ليست كذلك.

«أستطيع أن أتدبر أمري»، قالت دون أن تستطيع النظر إليه.

«من المؤسف انني لست سيمون، أليس كذلك؟» شخر فوق رأسها. «انني واثق بأنك لا تمانعين في تركه يساعدك».

لم تتحرك عنبر إلا بعد أن سمعت صوت الباب الخارجي يغلق. راحت عنبر تستمتع بالمياه الدافئة تنهمر فوق جسمها. لم تكن متأكدة بأنها تثق بامكانية ارسال دايسون للسيدة راندل لها. اخذت تفكر في الخروج من الحمام لأن الدخول إليه لم يكن سهلاً. وجدت بأنه يستحيل عليها الخروج من الحمام، لكنها غير مستعدة للرضوخ للهزيمة. قامت بتصريف مياه الحمام، وعندما كانت تقوم بأية حركة للخروج منه كانت تنزلق بألم على البورسلين اللماع، واستطاعت أن تمسك بمنشفة يد معلقة على مقربة منها وسحبتها، ثم مددتها تحتها وهي تأمل بأن تساعدها على الخروج.

بعد عشر دقائق، اعترفت عنبر أخيراً بالهزيمة. أخذت تبكي وهي تأمل بأن يرسل دايسون السيدة راندل. إنه في هذا الوقت يعتقد أنها قد أصبحت في أمام في فراشها، بينما تقف هي الآن يائسة، ومبللة، وبالرغم من التدفئة المركزية فقد شعرب بالبرد في هذه اللحظة.

قفز قلبها عندما سمعت باب غرفة نومها يفتح، ان السيدة راندل ستساعدها. لكنه لم يكن صوت السيدة راندل الذي وصل إليها من الجانب الآخر لباب الحمام. أن الصوت الذي سمعته هو صوت ذكر،

إنه دايسون الذي دخل إلى غرفتها وهو يتوقع رؤيتها في الفراش.

«عنبر ـ هل أنت على ما يرام؟».

سحبت عنبر منشفة اليد بسرعة من تحتها، ورفعتها أمامها لأنها تعلم بأنه لن يكترث لأية مشاعر لياقة.

«انني... انني عالقة»، قالت، وهي تعلم بأنها كذلك فعلاً وبأنه لا يكترث لمشاعر اللياقة. دفع الباب إلى الداخل ونظر إليها وهي منهارة وقد اتسعت عيناها، وشاهد بأنها ترفع أمامها منشفة مبللة، وكتفاها عاريين. وبدون كلمة لها استدار واعتقدت بأنه سيتركها لوحدها، إلى أن شاهدته يحمل لها منشفة حمام كبيرة.

«كم مضى عليك وأنت تجلسين هكذا؟» سألها وقد ادار لها ظهره.

«حوالي ساعة» قالت عنبر وهي على وشك البكاء.

شعرت بمنشفة الحمام تبعث الدفء حول كتفيها، ثم سمعت دايسون يقول لها «ارفعي يداً إلى أعلى»، وشعرت كأنها في دوامة، لأنها أطاعته بدون سؤال، وهي ما زالت تحمل المنشفة المبللة أمامها. شعرف بدفء المنشفة حول ذراعها، شاهدت دايسون كان يسحبها إلى أمامها، ولما شعرت أن مقدمتها قد غطيت بطريقة شريفة بطرف المنشفة، تركت منشفة اليد المبللة ورفعت له ذراعها الأخرى ليطوي الطرف الآخر لمنشفة الحمام أمامها. شعرت بأصابعه الدافئة على بشرتها وهو يدخل طرف المنشفة وقد تعجبت مما حدث الآن.

«ارفعي يديك إلى أعلى»، اصدر تعليماته إليها، «وضمي يديك خلف عنقي». اطاعته طاعة عمياء. «والآن أطبقي اسنانك»، قال لها، وعندما نظرت إليه خائفة لتعليماته الأخيرة، رأت النظرة الصارمة تختفي وحلت مكانها ابتسامة مشجعة. عندئذ عرفت السبب في تطبيق اسنانها، لأنه كان يرفعها من الحمام، ولأن حركاته لم تكن سريعة،

فانها بحاجة لأن تطبق أسنانها لمنعها من الصراخ من الألم.

في طريقها خارج الحمام، توقف دايسون ليلتقط منشفة أخرى معلقة، وحالما وصلا إلى غرفة النوم سألها، «هل يؤلمك لو نمت على بطنك؟».

«لـ ـ لا»، تمتمت قائلة.

شعرت بأصابعه ترخي الطية المطوية من المنشفة التي حولها، لكن قبل أن تستطيع التفكير، كان يضعها بلطف على السرير، والمنشفة ما زالت تغطيها. لم يعطها المزيد من الوقت لتتعجب أكثر، لكنه بدأ في الحال يفرك قدميها وذلك الجزء الظاهر من ساقيها بالمنشفة جيداً. بدأ الدفء يتسلل إلى قدميها وساقيها عندما انتهى من عمله. ثم ذلك البريق الذي بدأ ينبيء بانتهاء الكابوس سريعاً اختفى حالما حاول دايسون رفع الغطاء عنها.

«لا»، قالت بسرعة. «سأكون على ما يرام الآن، أشكرك».

كان هناك صمت حاد خلفها، قبل أن يقول، «انني أدرك بأنك ترتجفين عند التفكير بأنني المسك، لكنك تقشعرين حتى عظامك ـ أؤكد لك بأن اهتمامي فقط هو أن أحاول تنشيط دورتك الدموية. والآن كوني فتاة طيبة وحاولي تسهيل مهمتي. أعدك بأن لا أضرك».

استسلمت عنبر بعناد، ولم تستطع المناقشة لأن ما قاله كان معقولاً. ان كل ما عليها القيام به هو الاسترخاء وهي تعلم بأنه سرعان ما سيرى تلك الندوب البشعة في ظهرها.

أمسك دايسون بطرفي المنشفة من تحتها ولم يسحبها تماماً، لكنه سحبها فوق نصفها السفلي فيما بدأ يعمل لاعادة أول ذراع للحياة ومن ثم انتقل إلى الأخرى مما جعلها تشعر بالتنميل في كتفيها وأعلى ظهرها، وفقط عندما انتهى بدأ يكشف عن بقية جسمها. حركاتها

الامساك بمنشفة الحمام لتغطية جسمها قبل أن تسقط إلى الأرض كانت سريعة، ومؤلمة، لكنها تأخرت كثيراً. لقد عرفت من طريقة يديه اللتين لم تبدأ عملهما بسرعة أن الندوب في أسفل ظهرها وعبر وركيها قد صدموه. ارادت أن تقول شيئاً ما، أي شيء، لكنها لم تستطع أن تنبس ببنت شفة.

لم يتمكن دايسون من حبس كلمة «يا الهي»، وكان باستطاعة عنبر أن تبكي بأنه اعتقدها بشعة. ثم ذلك النصف من جسمها كان يتلقى نفس علاج ساقيها، وذراعيها، وكتفيها، فقط عندما لامست المنشفة ندوبها، كانت لمسته لطيفة إلى ما لا نهاية. ثم انتقلت ذراعه إلى كتفيها العاريين، فعادا للتنميل حالما أصابعه أمسكت بهما.

«انني سأساعدك لكي تنقلبي»، قال بصيغة الأمر الواقع دون أن يكون في صوته ما يدل على أنه تأثر لندوبها.

«انا ـ لا أستطيع أن أدعك تفعل»، قالت عنبر محتجة.

لقد كان الوضع اكثر تودداً مما كان، ومع أن دايسون كان قد ملأ ناظريه من ثدييها فقط منذ ساعات، فانها تفضل أن تموت دون أن تسمح له بأن يراها ثانية. اعتقدت بأنه سيصرخ فيها، وكانت مستعدة لذلك، عندما قال لها بهدوء!.

«حسناً ـ هل قميص النوم تحت وسادتك؟».

غمرها الأطمئنان لأنه ما زال لطيفاً معها. «نعم»، إجابته بصوت أجش. لم يضع دايسون الوقت فسحب قميص نومها فوق رأسها، وفيما ذهب إلى الجانب الآخر من السرير لفتح الشراشف، ورغم أن كل حركة جعلتها تعض شفتيها، سحبت قميص النوم إلى أسفل مقدمتها. ثم رفعها مرة أخرى، وبكل رحمة كانت هي تحت الشراشف، وكان هو يعيد المناشف إلى الحمام.

عاد بكوب من الماء في يده، وادخل يده في جيبه وأخرج زجاجة من الحبوب. «ان حبتين من هذه الحبوب ستخففان الألم». قال لها، وهو يفتح غطاء الزجاجة، وادركت بأنه كان قد ذهب لاحضارها عندما تركها في الحمام.

«إن معي الحبوب القاتلة للألم خاصتي»، قالت عنبر، وقد كرهت فجأة الازعاج الذي سببته له.

أعاد دايسون الزجاجة إلى جيبه. «في محفظتك؟»، سألها، وهو ينظر حوله بحثاً عن محفظتها.

«في شنطتي ـ انها على رف الخزانة».

«هل تتناولين تلك الحبوب بصورة منتظمة؟» قال لها، وهو يخرج الشنطة من الخزانة.

«أوه لا ـ لم اتناولها منذ فترة»، قالت وهي تشعر بالحماقة. «انني فقط وضعتها على سبيل الاحتياط».

شعرت عنبر بقوة ذراعها وهي تستند عليها لتبتلع الحبتين الساحرتين اللتين ستعملان بسرعة. ثم رقدت مرة أخرى على جنبها، وهو الوضع الأكثر راحة لها، ووجدت نفسها تعتذر وتقدم له هديته.

«هل تعتقدين بأنني أستحق هذه الهدية؟» سألها وهو يبتسم ويتقبل الهدية.

«كيف تشعرين الآن؟» سأل دايسون بهدوء.

«جيداً» اجابته بصورة آلية. «لكنني أتألم عندما اتحرك».

«حسناً»، قال لها. ثم استطرد يسألها، «منذ متى جرحت ظهرك، يا عنبر؟». راحت بكل هدوء تفاصيل الحادث وكيف أن أبويها ماتا ونقلت هي إلى المستشفى. ثم راحت تحدثه عن علاقتها الحميمة بأمها وأبيها. «لقد كنا قريبين جداً من بعض»، أنهت حديثها بصوت أجش.

«منذ متى حدث ذلك؟ ان الندوب تبدو حديثة».

«حدث ذلك في شهر تموز»، تمتمت تقول له، وقد رأت نظرة حاسبة في عينيه.

«يعني قبل شهرين من لقائنا»، قال لها، دون أن يجد مشكلة في حسابه. «لم يكن قد مضى وقت طويل على خروجك من المستشفى.

«أسبوع فقط»، قالت معترفة.

لكن دايسون بدا بأنه لا يريد أن يترك شيئاً دفيناً. «اذن لقد كنت في طور النقاهة عندما جلست على كرسي البار؟».

«نعم» اجابت، ومع أن سؤاله لا يحتاج إلى جواب وجدت نفسها مضطرة للدفاع عن نفسها. «أنا... كنت متضايقة في ذلك اليوم...».

«يبدو أنك كنت متألمة»، قال معلقاً.

«لقد كنت أتناول الحبوب القاتلة للألم بانتظام. لقد أخذت المزيد منها عندما وصلنا إلى غرفتك في الفندق».

رأت عيناه تضيقان، لكنه قال لها، «أه نعم، غرفتي، من المؤسف أن كراهيتك لي لم تبلغ مداها قبل أن نصل إلى هذا الحد».

«لم تكن لدي كراهية لك».

«كاذبة». قال لها، وهو يحدق في عينيها.

«لا، تلك الليلة ـ أنت تعلم، تلك الليلة في غرفتك ـ حسناً، أستطيع أن أتذكر الذهاب معك إلى غرفتك ـ أتذكر الحمام ـ لكنني طول حياتي لا أستطيع أن أتذكر عن ماذا تحدثنا». انخفض صوتها إلى درجة الهمس «... أو حتى لو تحدثنا».

«انت تقولين لي أن كل شيء كان فراغاً؟».

«لا أستطيع أن أتذكر شيئاً سوى وجودي معك في تلك الغرفة،

والذهاب إلى الحمام وتناول المزيد من الحبوب لأنني...»، ثم تهدج صوتها، ولم تكن مستعدة للمزيد.

«لأنك...؟» قال لها بسرعة. «تابعي»، راح يحثها بهدوء. «أنت تناولت المزيد من الحبوب لأنك...».

نظرت عنبر إلى اليد التي ترقد فوق يدها بحنان. «حسناً، أنت تعرف على أية حال»، قالت بصوت أجش.

«ماذا أعرف أنا، يا عنبر؟».

«الرجل دائماً يعرف، أليس كذلك؟» لم تستطع النظر إليه.

«الرجل دائماً يعرف ماذا؟» قال مشدداً.

وجدت نفسها تقول له بسرعة، «الرجل دائماً يعرف عندما يأخذ عذراء إلى فراشه. لقد عرفت بأنك ستكتشف بانها كانت مرتي الأولى ـ ولم اكن أريد أن أخلق مشادة إذا آلمتني، ولهذا السبب تناولت المزيد من الأقراص».

«أوه يا الهي، يا عنبر»، قال دايسون، وبدا صوته خشناً.

«وكما قلت، لم استطع أن أتذكر، وعندما استيقظت في الصباح التالي ـ كنت هناك و ـ حسناً، شعرت ببعض الألم، فأخذت سيارة إلى بيتي. لا تقل لي بأنني لا اريد أن أعرف أي شيء عما حدث في ذلك الفراش».

لقد بدا على دايسون أنه انتقل تماماً من رجل كان يعتقد بأنها كانت عاهرة إلى الاعتقاد بأنها كانت فتاة بحاجة إلى العطف والحنان.

«أوه، انك لم تكن الوحيد»، كذبت عليه.

«لا؟» قال دايسون مستعلماً. ثم بنعومة كأنه ليس مستعداً لتصديقها، «هل كان هناك آخرون بعدي؟».

«بالطبع»، قالت بدون تردد.

«أخبريني، يا عنبر هل شعرت بألم مع أي من عشاقك؟».

«هل تعني في ظهري؟» سألت وهي غير متأكدة.

«لا، يا عنبر، انني لا أعني في ظهرك»، قال دايسون.

«بالطبع لا»، قالت له عن اقتناع.

«حسناً، لقد تحدثنا كثيراً وقد آن الأوان لكي تستريحي، ونظراً لأنك لم تعودي تشعرين بالخوف من قبلاتي...» ولم ينه كلامه، بل انحنى فوقها وطبع قبلة خفيفة على فمها، قبل أن يأخذ الهدية التي أعطته إياها بمناسبة عيد الميلاد، وغادرها.

كانت عنبر تغط في نومها عندما أحضرت لها مورين صينية الغداء.

«أنا آسفة لأسبب لك كل هذا الازعاج» قالت لها عنبر معتذرة.

«لا ازعاج يا آنسة» اجابت مورين. «كلنا آسفون لألم ظهرك».

ما أن انتهت عنبر من تناول غدائها حتى دخلت هيلين وبعد أن أخبرتها بأنهم تناولوا غداءهم منذ فترة قالت لها، «لقد اردت أن أصعد لرؤيتك رأساً، لكن دايسون قال لا لأنك نائمة، وطلب من السيدة راندل أن تبقي طعامك ساخناً.

ذهبت هيلين وظهر دايسون. لكنه لم يكن هناك شيء من الغمامة السوداء عندما سألها كيف تشعر بعد النوم.

«جيداً» قالت وهي تراقبه يتجه إلى النافذة. «حسناً، سنرى ما سيقوله الطبيب» قال لها.

«الطبيب؟»، لقد اعتقدت بأنه نسي الموضوع.

«الطبيب»، قال لها مؤكداً. «ان سيارة قد توقفت الآن عند المدخل، واذا لم اكن مخطئاً فانه سيكون هو. سأذهب لأصعد معه».

لكن عندما فتح الباب ودخل دايسون إلى الغرفة قال لها:

«لقد أصر الدكتور كريسويل على الحضور بنفسه ليرى ما أنت فيه».

ومع أن عنبر تفضل أن يراها أي شخص تبكي عدا دايسون، صرخت بدهشة:

«العم جيمس - أوه، ياعم جيمس!»، وبسرعة انهمرت دموعها.

الفصل الثامن

«ماذا يا عزيزتي، عنبر»، سألها الدكتور كريسويل وهو يسرع إلى سريرها والابتسامة على وجهه.

«أوه، يا عم جيمس»، قالت عنبر وهي تتمنى لو تستطيع التوقف عن البكاء.

«اسمعيني يا عنبر»، قال لها بصوت جاد لكي يلفت انتباهها. «انك لن تموتين يا طفلتي. لقد اعتقدت بأنك قد اقتنعت بذلك. هيا وامسحي دموعك الآن، وإذا لم تكوني مقتنعة فسأخذك شخصياً لرؤية السيد فيليبس وسنجري معه مناقشة صريحة في قضيتك».

نظرت عنبر إليه وتوقفت دموعها.

«إذا كنت ايجابية أيتها الشابة، دعيني ألقي نظرة على ظهرك».

اتجهت عيناها إلى دايسون. بدا لونه طبيعياً الآن، لكنه ادرك بأنها لا تريده هناك عندما يفحصها العم جيمس.

«سأترككما»، قال دايسون وهو يغادر الغرفة.

كان فحص جيمس كريسويل لعنبر دقيقاً، ثم قال لها، «كان يتوجب علي أن أنصحك بأن لا تحاولي الركوب لفترة». ثم اردف يقول لها، «ابقي في الفراش غداً لاعطاء عضلاتك فرصة للراحة».

«لكن، يا عم جيمس...»، قالت عنبر، لكن جيمس كريسويل نظر إليها وقال. «من الطبيب هنا، أنت أم أنا؟» «حسناً»، قالت موافقة، وهي تريد أن تقول له بأن يأخذها معه إلى البيت بسبب الأزعاج الذي سببته للجميع.

بقي يتحدث معها لعدة دقائق قبل أن يقف على قدميه، ثم شكرته عنبر من كل قلبها.

«انت واحدة من أحب مرضاي»، قال لها وهو يبتسم، «والآن خذي نصيحتي يا عنبر، وابقي في الفراش غداً».

وجدت عنبر بأنها لم تترك لوحدها طويلاً. أن وقع خطوات في الرواق جعلت عينيها تتجهان إلى الباب، وهي تعتقد لأول وهلة بأن دايسون قد عاد لرؤيتها، لكن الباب فتح بحذر وأطلت هيلين برأسها.

«أه، أنت مستيقظة»، قالت وهي تدخل إلى الغرفة وتغلق الباب. «لقد رأيت الدكتور كريسويل يدخل مع دايسون إلى غرفة المكتب منذ عشر دقائق ونظراً لعدم خروج أحد، فقد فكرت بالحضور للسؤال عما قاله الطبيب إذا كنت مستيقظة».

«أوه، لا شيء خطير»، اجابت عنبر، وهي تعجب مما يدور من حديث بين دايسون والعم جيمس يمكن أن يستغرق عشر دقائق - ربما يتناولان مشروباً معاً. «لقد قال لي العم جيمس بأنني لن أتألم إذا رقدت ساكنة، وقال بانني سأكون على ما يرام بحلول يوم السبت».

«أوه، هذا جيد»، قالت هيلين وهي تواصل حديثها، «اذن هذا هو عمك جيمس. اننا لم نتبادل الأسرار معاً، أليس كذلك؟ لم تكن عندي أية اشارة إلى الحادث الذي أصابك وأنه يتوجب عليك أن تكوني حذرة». شعرت عنبر بالذنب لأنها لم تخبر هيلين شيئاً.

بدأت عنبر تشعر بأنها تحب هيلين اكثر بعد أن عرفتها، وبقيت

هيلين معها نصف ساعة حتى فتح الباب ودخل سيمون. مرت عنبر بتجربة احساس الخفقان من جديد عندما فتح الباب إلى أن رأت بأنه سيمون.

«كيف حال المريضة؟» سأل، وهو يدخل ويجلس على السرير، إلى أن طلبت منه هيلين النهوض.

«إنك تؤذي عنبر، برمي نفسك على السرير مثل الجمل»، قالت له معاتبة.

«آسف»، قال، وهو ينهض ليحضر كرسياً. وبعد بضع دقائق قال لهيلين، «لقد اردت أن أقول كلمة لعنبر لوحدها.

«أسرار؟»، سألت هيلين وهي تقف. «غريب وأغرب» اردفت تقول. «سأراك لاحقاً يا عنبر، ويمكنك أن تخبريني ما يريد سيمون أن يقوله لك وحدك».

«اذهبي»، أمرها سيمون، وذهبت هيلين.

نظرت عنبر إلى سيمون ورأت بأنه لا يستطيع أن يضع عينيه على عينيها. ثم تغير لونه وشعرت بالاسف له عندما ادركت بأنه هو الذي يريد أن يقول لها ما لا يريد أن تسمعه هيلين.

«كل شيء على ما يرام، يا سيمون»، قالت بصوت ناعم وهي تحاول مساعدته على الكلام. «لقد شربت كثير، وأعتقد...» «انني لست على ما يرام، لقد أسأت السلوك بالدخول إلى غرفتك الليلة الماضية - انت ضيفة شقيقتي أيضاً. لقد شعرت بانني وغد كبير عندما استيقظت هذا الصباح. انني لا استحق صفحك». قال وهو يبتسم. «لكنك ستصفحي عني، اليس كذلك؟».

«بالطبع يا سيمون، لكن لا تفعلها ثانية»، اجابت عنبر.

فرح سيمون وقال، «أوه، لن أعيدها، صدقيني»، ثم راح يخبرها

عن حفلة كيت لانكستر، قائلاً بأنه كان يتمنى لو انها ذهبت معه. ثم واصل حديثه قائلاً لها بأن الفرصة لم تسنح له ليقول لدايسون بأنه لم يحدث شيء بينه وبينها. «لكنني سأخبره حالما تحين اللحظة المناسبة».

«لا تفعل»، قالت عنبر بسرعة.

«لا افعل؟»، استعلم سيمون. «يجب أن أفعل، يا عنبر. انني لا أستطيع أن ادع دايسون يعتقد أنك رحبت بي في غرفتك الليلة الماضية».

«لقد - لقد تحدثت معه بنفسي وشرحت له» قالت عنبر. «انه لن يكون مفيداً فتح الموضوع من جديد».

«حسناً»، قال سيمون موافقاً.

دخلت هيلين لترى إذا كانت عنبر بحاجة إلى شيء ولكي تعرف ما قاله لها سيمون: «كيف تكون عنبر بحاجة إلى أي شيء وأنا هنا؟» قال سيمون مازحاً، لكنه وقف على قدميه عندما اخبرته هيلين بأنه لا يستطيع أن يراقب فيما هي تسوّي فراش عنبر. عندئذ خرج سيمون في الغرفة.

عندما استعدت عنبر لتنام تلك الليلة، تذكرت أن كل من في البيت قد وضعوا أنفسهم بتصرفها كيلا تشعر بالوحدة. فهيلين كانت زائرة دائمة، وسيمون يطل ليراها بعد العشاء، والسيدة راندل كانت أيضاً، ومورين بدت أنها ليست في عجلة من امرها لاعادة ادوات العشاء. ان كل ذلك ساعد في جعلها تشعر بأنها جزء من العائلة، وكان أسفها الوحيد هو عدم ظهور دايسون منذ أن غادر عندما جاء العم جيمس ليفحصها.

كانت عنبر تفكر في إطفاء نور غرفتها، عندما فتح الباب ورأت دايسون واقفاً هناك. عاد إليه شعور الخفقان عندما رأت أن كل شخص

يأتي لرؤيتها، مما جعلها تشعر بالتهيج عندما جاء إلى سريرها.

«ألم تنامي بعد؟» قال لها بصوت رقيق.

«لقد... لقد نمت كثيراً بعد الغداء»، اجابته عنبر.

«هل تناولت اقراصك؟» سألها دايسون والابتسامة على شفتيه.

«اعتقدت بأن لا أتناول المزيد، لأن الألم قد خف»، ردت عليه عنبر.

لم يقم دايسون بأي تعليق، لكنه راح يدرس وجهها ويفتش في عينيها عن أية نظرة اجهاد. ازداد تهيج عنبر عندما سحب كرسياً وجلس على مقربة منها.

«انني آسفة لأن علي البقاء في الفراش غداً»، قالت عنبر باندفاع.

«انني... انني سأنهض يوم السبت».

«سنرى»، قال دايسون.

«انني سأقوم»، اجابت بثقة. «لو انني لم اكن غبية هذا الصباح...».

«نحن كلانا لدينا شيء ما لنندم عليه هذا الصباح». اخبرها دايسون، وقد رأت في ملامحه مدى مرارة الندم على أعماله.

«ارجوك لا ـ لا تقلق حوله يا دايسون»، قالت، «إنه لا يهم...».

«بل يهم»، قال ببرود. «ليس لي الحق أن اعاملك بالطريقة التي عاملتك بها وأنت ضيفة في بيتي».

«لكنك اعتقدت بأن لديك سبباً»، قالت له عنبر، وهي تتذكر أن الملاحظة التي صرحت له بها في غرفته ذلك الصباح بدت كأنها اعتراف بكل ما يعتقده. لقد تذكرت بأنها قالت له، «ما القضية؟ هل أنت غاضب لأنك لم تكن أنت الذي رحبت به؟ لم تعجبها تلك النظرة المظلمة في وجهه واسرعت بدون تفكير، وهي

تريد فقط أن تنفي ذلك. «تركتك تعتقد أن سيمون وأنا كنا..» ثم توقفت عندما ادركت بأنها اخبرته بأنه لم يحدث شيء بينها وبين شقيقه. «أوه»، تمتمت ونظرت بعيداً.

«أوه، حقاً»، قال دايسون. ثم هزها بقوله، «انني أعلم جيداً بأنه لم يحدث شيء بينك وبين سيمون الليلة الماضية ـ مع انني لو أعرف سيمون، فانه لم يغادر غرفتك بدون أن يمد يده أولاً».

«كان نور غرفتي مضاءً عندما عاد سيمون إلى البيت ـ شاهده من تحت الباب ـ فدخل» قالت له عنبر.

«اخبريني، يا عنبر، هل أنت تنامين عادة والنور مضاء؟».

«لا، لكنني حلمت حلماً مزعجاً ـ و... و...».

«وقد خفت من العودة للنوم ثانية؟».

«نعم»، قالت موافقة.

«لهذا السبب اذن كنت لا تزالين مستيقظة عندما دخلت ـ لأنك تخافين النوم لئلا يعود لك ذلك الكابوس؟».

«انني لا أشعر بالنعاس»، أجابت عنبر.

التقط دايسون زجاجة اقراصها من على الطاولة التي إلى جانب السرير، «اعتقد أن قرصين من هذه الأقراص سيساعدانك يا عنبر. هلاّ تناولت قرصين منها لكي تفرحيني؟».

«نعم»، قالت له، وانتظرته حتى ذهب إلى الحمام وعاد اليها بكوب من الماء.

هنا تذكرت عنبر أن دايسون اجتمع في مكتبه مع الدكتور كريسويل، فسألته، «ماذا أخبرك الدكتور كريسويل؟».

«اخبرني الدكتور كريسويل بأنك كنت محطمة القلب عندما اخبرته

أنك اعتقدت بأن أيامك على الأرض أصبحت معدودة ـ لقد بدأت اعرفك يا عنبر».

راحت عنبر تتمنى أن لا يطول بقاء دايسون معها، لكنه عاد يسألها، «ما الذي كان يزعجك كثيراً وكنت تريدين أن تخبريه به؟» توقف دايسون بانتظار جوابها، عندما تابع يقول، «لقد أمضيت معي ليلة في فراشي ـ لقد اخبرتني بأنك لا تستطيعين أن تتذكري أي شيء مما حدث، لكنني مقتنع أن هناك شيئاً ما...».

«ارجول توقف!» قالت له بتوسل، لكنها شعرت بأن من الافضل أن تقول له وتنتهي. لقد كان لطيفاً معها الآن لأنها كانت حبيسة فراشها، لكنها عندما تتحسن فانه سيعود إلى طريقته الساخرة، وقد عرفت الآن بأنها أحبته، ولم تعتقد أن باستطاعتها تحمل حبه، وأن من الأفضل أن لا تراه ثانية.

«أريد أن أعرف، يا عنبر»، قال لها بهدوء، وعرفت بأنها إذا لم تخبره فانه سيذهب ويقابل العم جيمس، ومن الممكن أن يخبره عن تلك الليلة.

«أعتقد بأنني حامل».

خيم الصمت بينهما نتيجة اعترافها، لكنها عادت تقول له بغضب:

«نعم ـ حامل، وربما أنت لم تهتم، أليس كذلك؟ لكنني أنا أهتم. أشعر بأنني قد حملت طفلك ـ وأعرف بأن لدية فرصة ضئيلة للعيش»، وانهمرت الدموع من عينيها كالمطر، لكنها لم تكترث، وتابعت تقول، «هل تعرف كيف يكون شعورك عندما تكون مقتنعاً بأنك قد حملت طفلاً بريئاً وأنت تعلم بأن الطفل سيموت معك ـ لقد أردت ذلك الطفل»، وانفجرت في البكاء، وهي تردد ـ «لقد اردت ذلك الطفل لأحبه!».

الفصل التاسع

أغلقت عنبر عينيها ، واراحت رأسها على وسادتها وهي تفكر. لم تكن تريد أن تخبره، ليس هناك حاجة حقيقية لاعلامه. تمنت لو يذهب. ثم شعرت بأنها لا تريد أن تراه ثانية. مما لا شك فيه أن اعترافها قد صدمه، لأنها رأت نظرة عدم التصديق في عينيه. شعرت بأن السرير على وشك أن ينهار تحت ثقله، وعرفت أنه قد استعاد وعيه من وقع كلماتها، لكنها لا تريده على مقربة منها، ولا تريد أن تفتح عينيها. شعرت بيديها في قبضته.

«أوه، يا عزيزتي عنبر»، قال لها، وقد بدا صوته خشناً. «لقد قمت بزيارة إلى جهنم، أليس كذلك؟».

وعندئذ فتحت عينيها، عندما طوقها بذراعيه بلطف شديد كيلا يؤلمها، ووضعت رأسها على كتفه. «انني لن أسامح نفسي على كل ما أصابك»، همس في أذنها. ولم يكن ذلك ما تريده، بأن يتحمل بعض الذنب.

«لم تكن تلك هي غلطتك»، قالت عندما أرجع رأسه لينظر إليها.

«انت تعرف ماذا أعني»، أضافت بسرعة.

«نعم، أعتقد بأنني أعرف ما تعنين»، قال لها دون أن تكون هناك

أية سخرية أو كراهية في صوته. ثم قال لها، «أخبريني أولاً كيف حضرت إلى الفندق».

راحت عنبر تخبره كيف أنها تضايقت من بقائها في البيت، فقررت الخروج، ثم دخلت إلى المقهى حيث التقت صديقتها سالي التي اقترحت عليها الحضور إلى ذلك الفندق، وضربت لها موعداً فيه، لكنها لم تحضر. ثم اخبرته كيف التقته هناك وحدث ما حدث.

«أنت فتاة شجاعة جداً»، قال لها عندما أنهت حديثها.

لم تفكر عنبر بأنها كانت شجاعة. لكن كانت هناك نظرة رقيقة في عينيه، كأنه كان يعاني ما عانته. تركزت عينا دايسون الداكنتين عليها عندما طبعت قبله على وجهه. «فتاة شجاعة جداً، كرر قوله، وبدوره قبّلها، ليس على خدها كما فعلت هي، بل على فمها المفتوح قليلاً.

شعرت عنبر بالدفء عندما فكرت بها لاحقاً. لقد كانت قبلة طاهرة. لم يتوقع دايسون أن تطوقه بذراعيها، لكنها بدت كأنها لا تستطيع أن توقف نفسها، وعندما ترك فمه فمها، ارادت أن تقبله ثانية. التقت عيناه بعينيها، وعرفت أنه قرأ ما تريد.

«لا، يا عنبر»، قال لها، وكانت هناك عاطفة في صوته. «أعتقد أننا كلانا قابلين للعطب في هذه اللحظة ـ أن هذا الوضع متفجر جداً». ابعد ذراعيه عنها، لكن عنبر لم تتحرك، وبدا كأنه لا يستطيع أن يوقف نفسه، فطوقها بذراعيه من جديد. «أنت كثيرة جداً لي...». لم يتوقف، لكنه استسلم لها، وادركت عنبر أن قبلته هي أجمل ما عرفت عندما استراح فمه على فمها، عندئذ فتحت شفتيها طلباً للمزيد، وازداد الضغط.

كان لا يزال يسندها بقوة بذراع واحدة، لكنها لما كانت ما تزال متعلقة به، سمح ليده الأخرى بأن تداعب كتفها لتسحب قميص نومها

إلى أسفل ذراعها. أحست بهمسة قبلته على كتفها حيث كانت يده، ثم انتقلت شفتاه إلى عنقها وأذنيها. شعرت كأن جسمها يغني وهي مسرورة من لمسته.

كانت عنبر غير مدركة في تحريك ذراعها لتمسك بخاصرته، وشعرت بعقدة قميص نومها قد حلّت. عندئذ لما طلبت شفتا دايسون المزيد، أصبحت ضائعة وطوقته بذراعيها من جديد، لكنها وجدت أنها لا تستطيع لأن قميص نومها قد انزلق إلى وسط ذرعيها. شعرت بطرف لسانه يداعب شفتها السفلى، وفي لحظة، مع ارتفاع شهوتها، سحبت ذراعيها وحررتهما من قميص النوم، دون أن تكترث لقميص نومها الذي انزلق إلى خاصرتها، وطوقته بذراعيها العاريتين.

«أوه، يا عنبر»، تمتم قائلاً عندما ابعد فمه عن فمها واعتقدت بأنه يريد أن يبعدها عنه، لكن ذلك لم يكن ما تريده هي.

«قبّلني، يا دايسون»، همست قائلة وقد رأت النار تطل من عينيه لتقول لها أنه وجدها مرغوبة ولا تقاوم. ثم بأنّه لم تفهمها، عاد فمه إلى فمها، وكان كل شيء في داخلها يقول لها أن وقفت التوقف قد مضى. رأت عيناه تركزان على ثدييها العاريين.

إحمرت خداها، «انني لم أكن أعرف»، قالت وهي تحاول أن ترفع ثنايا قميص نومها، لكنها لم تستطع لأن دايسون منعها من ذلك.

«لا»، قال لها بصوت منخفض. «انت جميلة»، وبلمسة خفيفة راحت اصابعه تداعب ثدييها وترسل رعشة النشوة في عروقها، إلى أن قام أخيراً ولمس رأسي حلمتيها، وبدا لها بأنها لن تستيقظ في الصباح وحيدة في سريرها. واغلقت عينيها، لأن ذلك كان اكثر مما تستطيع أن تحتمل ـ إنه شعور المتعة بدون خجل.

لم تدري عنبر ماذا حدث لدايسون لحظة اغلقت عينيها، لكنها

شعرت بيده تبتعد عنها وفتحت عينيها، لترى الرجل الذي أحبته بجنون ليس الرجل الذي كان يكافح لاطفاء اللهيب الذي عرفت بأنه كان يندلع في داخله.

«أن أحدنا يجب أن يكون عاقلاً»، قال لها دون أن تدري. «انني خائف أن يهددني سحرك بالغرق فيك، ويجب علينا أن نتذكر بأن أية حركة ستكون مؤلمة لك».

ارادت عنبر أن تقول لعنة الله على الألم. لكنها رأت أن دايسون قد انسحب، ولا تستطيع أن تطلب منه أن يقبلها ثانية، وسرعان ما سمعت الباب يقفل في وجهها.

«حاولي النوم يا عنبر»، سمعته يقول لها قبل أن يخرج، وهي تعلم أن النوم يبعد عنها ملايين الأميال.

غرقت عنبر في نوم خال من الاحلام بعد ذهابه بقليل، واستيقظت باكراً في الصباح التالي وهي لا تصدق ما جرى. اعتقدت عنبر بأنها لن تستطيع النظر اليه ثانية.

قررت عنبر أن تودعهم في الصباح. «انني جئت لأقول لك وداعاً الآن» قالت عنبر لدايسون وهي لا تريد أن تطيل الحديث لسماع ما هو مؤلم. مدت يدها، واعتقدت للحظة رهيبة أن دايسون سوف يتجاهلها، ثم شعرت بيده تمسك بيدها بقوة. «أشكرك على اهتمامك بي»، قالت له بأدب وقد شاهدت عيناه تضيقان.

«لقد كان السرور لنا جميعاً بوجودك» قال دايسون بوحشية، لكن عنبر لم تنتظر من أجل المزيد. اذا كانت هي قد أزعجته بجملتها المؤدبة فانه قد أفسدها بجملته. وبغض النظر من مراقبة هيلين، فقد سحبت يدها من قبضته وخرجت مسرعة من الغرفة.

أصرت هيلين على أن تحمل لها شنطها إلى السيارة، «عليك أن

توفري على نفسك اجهاد ظهرك»، قالت لها بفرح. «لقد فكرت بذلك دون أن يذكرني دايسون».

سرعان ما غرقت عنبر وهيلين في خضم العمل عندما دخلتا إلى محلات بروسترز. ونظراً لأن معظم الموظفات المؤقتات قد غادرن، ونظراً لأن الأشياء لم تتم تسويتها في المصنع، فان عنبر وهيلين انتهتا عند الخامسة من ذلك المساء بعد أن توصلتا إلى نتيجة بأن السيد مالك جيلي كان مخطئاً في سماحه لبعض الموظفات بترك العمل.

«سأحضر معك إلى سيارتك لآخذ شنطتي»، قالت عنبر، عندما تنهدتا وهما تغلقان باب المصنع خلفهما.

«سأوصلك»، أصرّت هيلين، وتعجبت عنبر اذا كان لدايسون يد في ذلك، لأن هيلين لم تكن توصلها من قبل.

كانت متأكدة من ذلك عندما أوقفت هيلين السيارة أمام بيتها وأصرت على أن تنقل لها شنطها إلى غرفتها. وقفت عنبر عند الباب لتلوح لها بيدها، ثم دخلت إلى المطبخ لتصنع كوباً من الشاي، وكان فكرها مشغولاً. لقد أحبت دايسون كثيراً، واعتقد هو بأنها لا شيء سوى عاهرة صغيرة سهلة المنال. ومع ذلك، اعتقدت بكل أسى، أنه قد عرفها على حقيقتها. ان ذلك يظهر كم كانت هي مخطئة. إنه بطلبه إلى هيلين كي تحمل لها شنطها، لم يدع مجالاً للشك بأنه لا يريدها في بيته ثانية.

الفصل العاشر

كانت معنويات عنبر منهارة عندما التقطت الباص لتعود إلى بيتها من العمل في مساء اليوم التالي. كانت هيلين قد سألتها ماذا خططت لقضاء أمسية السنة الجديدة، واعتقد بأنها لو اخبرتها بأنها لم تخطط شيئاً غير الذهاب إلى فراشها باكراً واغلاق الباب على أسوأ سنة في حياتها، لكن هيلين أسرعت تدعوها إلى بيتها، واخبرتها بأنها سترى السنة الجديدة مع جيمس كريسويل.

«لقد كان متفهماً تماماً حول ذهابي إلى عندك لقضاء عيد الميلاد» اضافت عنبر، وفي حال حاولت هيلين السيطرة عليها، اردفت تقول، «اعتقد بأنه سيتأثر إذا لم أنضم إليه الليلة».

بعد تبديل الثياب التي ارتدتها في ذلك اليوم، شرعت عنبر في اعداد وجبة لا تهمها بصورة خاصة، وندمت على حاجتها للكذب على هيلين. لقد كانت صديقة طيبة، وهي تقدر تلك الصداقة، لكن يجب أن لا تعلم هيلين بما جرى بينها وبين دايسون، والكذبة كانت ضرورية. إنها لن تضع نفسها ثانية على بعد أمتار من دايسون.

لما قامت بتنظيف بقايا نصف وجبتها وغسلت الاطباق، تذكرت عنبر بأن عليها أن تقوم بشيء ما من أجل نفسها. ان غداً سيكون بداية سنة

جديدة وعليها أن تنظر نحو الأفضل. من يدري ما الذي تخبئه السنة لها؟.

عند التاسعة قررت عنبر الذهاب إلى فراشها. كانت افكارها قلقة منذ أن دخلت البيت. لقد كان دايسون هو الرجل الذي أحبته، لكنها لم تفكر في الزواج من غيره. لقد شعرت بأنها ترتبط به بسلسلة لا يستطيع أي رجل أن يحطمها. شعرت بأنها تنتمي إليه، لكنها تمنت لو لم تفعل ذلك!.

كانت قد وقفت على قدميها استعداداً لصعود السلم عندما دق جرس الباب الأمامي. انها لم تكن تتوقع زيادة أحد، لكن ابتسامة فرح ارتسمت على شفتيها عندما رأت جيمس كريسويل واقفاً هناك.

«هاللّو يا عم جيمس، أدخل».

«اعتقدت بأنك ستمضين هذه الليلة في الخارج» قال وهو يراها بدون الجينز والسويتر. اغتصبت عنبر ابتسامة واخذته إلى غرفة الجلوس، حيث سألها عن احوالها.

«انني بحالة جيدة، فتلك المشكلة قد انتهت خلال أربع وعشرين ساعة» اجابته عنبر.

«لقد اعتقدت ذلك ـ لكن لماذا لا تحتفلين الليلة يا سيدتي الصغيرة؟ لقد كنت ماراً من هنا بعد تلبية دعوة أحد المرضى وتوقعت أن أرى البيت في ظلام»، قال لها.

«لم أشعر بالرغبة في الخروج الليلة»، قالت عنبر وهي تحاول أن تبدو مسرورة، بالرغم من تحديق جيمس كريسويل بها.

«لماذا لا تأتين وتستقبلي السنة الجديدة معي؟» اقترح عليها. «انني قد ألبّي دعوة، لكن السيدة باغيت ستكون هناك.

«لا أعتقد ذلك، يا عم جيمس ـ انني أقدر دعوتك، لكن...».

«لكن؟».

ما زالت عنبر تظهر له بأنها مسرورة حالما اعترفت قائلة. «انني لست بالرفيقة الجيدة الليلة».

«هل تتألمين؟».

«أوه، لا»، اجابت عنبر بسرعة. «لا ألم بتاتاً».

لم يظهر على جيمس كريسويل بأن كان مقتنعاً. «هل لديك اقراصاً يمكنك تناولها؟».

«ليست بحاجة اليها ـ انني لا أتألم». فقط هذا الألم العميق في قلبي، اعتقدت هي، وتمنت لو أن العم جيمس يستطيع أن يصف لها دواء لتخدير ذلك الألم بسهولة. استطاعت أن ترى بأنه لم يصدقها تماماً. «إنه ما زال عندي قرصين إذا دعت الحاجة»، قالت له.

«قرصين فقط؟ انني سأعطيك وصفة أخرى، فاذا أعطيتك من قبل؟».

«إنك عجوز مضحك»، قالت له بصوت محبب، وذهبت لتحضر زجاجة صغيرة ليستطيع تنشيط ذاكرته.

«هم م م، هذه أقراص قوية، سأعطيك اقراصاً أخرى. لقد وصفت لك تلك الأقراص لأنك كنت في ألم شديد ـ خذي قرصين من هذه وستصبحين نشيطة».

كان منهمكاً في كتابة الوصفة، وكانت هي على وشك الاحتجاج أن باستطاعتها شراء الاسبرين عند الحاجة، عندما شعرت برعشة باردة. «خذي اكثر من قرصين من هذه»، قال وهو يشير إلى الزجاجة التي في يده، «وسوف تصبحين نشيطة».

«ايها الليل، أيها الليل، أيقظني في الصباح»، راحت عنبر تردد عندما ذهب. عادت إلى غرفة الجلوس وغرقت في الديوان. فجأة،

وبكل وضوح، عندما غابت كل الذكريات، استطاعت أن ترى نفسها في حمام ذلك الفندق ـ لقد تناولت أربعة أقراص، إنها متأكدة من ذلك.

وبكل يأس حاولت أن تتذكر ما حدث بعد ذلك، عندئذ ثارت مشاعرها وهي لا تستطيع البقاء جالسة طويلاً. ماذا فعلت بعد ذلك ـ يجب أن يكون مطبوعاً في ذهنها؟ ماذا فعلت بعد ذلك؟ نعم، يجب أن تكون قد عادت إلى غرفة النوم، ودايسون كان قد اعطاها مشروباً ـ لا تستطيع أن تتذكر بأنها شربت شيئاً ـ لكنها كانت قد شربت في البار، انها تستطيع أن تتذكر ذلك بوضوح. انها تذكرت الآن بأن العم جيمس كان قد قال لها مازحاً منذ فترة أن لا تشرب وأن لا تقود السيارة. لكنها كانت قد شربت، وقد اختلط الكحول مع الاقراص. . . .

اقتنعت الآن بأنها لم تفقد ذاكرتها لانها كانت غائبة عن الوعي من الاقراص ومن كأس الويسكي، فشعرت بدقات قلبها تتسارع. جلست وهي تحاول البقاء هادئة. ماذا حدث بعد أن غرقت في النوم نتيجة العقاقير؟ ليس هناك من طريقة لمعرفة ذلك، ما لم تسأل الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يخبرها.

إن باستطاعتها أن تسأل دايسون. نمت هذه الفكرة في ذهنها وشعرت بالقوة لأنها لم تكن مستعملة قبل كل شيء. كان عليها أن تعرف دايسون خلال فترة عيد الميلاد التي أمضتها في بيته. أوه يا الهي، ان عليها أن تعرف!.

خجلت من فكرة الاتصال هاتفياً. ماذا يمكنها أن تقول؟ انها لا تستطيع أن تقول، «هالو دايسون ـ انني أتصل فقط لأسألك اذا كنت قد

عاشرتني تلك الليلة»، هل تستطيع؟ مع ذلك فانها لن تهدأ حتى تعرف.

كانت هيلين قد كتبت لها رقم هاتفها في حال رغبت أن تتصل لها في أي وقت، وبصورة محمومة راحت عنبر تفتش في محفظتها إلى أن عثرت على قصاصة الورق. ثم وهي لا تدري، ادارت اصابعها الرقم. لقد بدا لها أنه استغرق زمناً طويلاً لكي يرن، لكنها لم تعد السماعة، ثم سرعان ما سمعت صوت برر - برر يجعلها تشعر بأنها تتصل وحاولت التخفيف من ثورة مشاعرها، مع أنها أخيراً عندما سمعت صوت هيلين، لم تستطع التفكير بشيء لتقوله.

«هالو»، قالت هيلين للمرة الثانية، وخوفاً من أن تعيد هيلين السماعة قبل أن تستطيع أن تقول لها شيئاً، كافحت عنبر في سبيل ايجاد صوتها.

«ها - هالو، هيلين - أنا عنبر».

تحول صوت هيلين ليرحب بها. «هالو، عنبر»، ثم اكتشفت أن شيئاً ما غير طبيعي في صوت عنبر، «هل هناك شيء؟ هل تتصلين من منزل الدكتور كريسويل؟».

«لا». تذكرت بأنها كذبت على هيلين. «العم جيمس مشغول الليلة، ولهذا السبب لم أذهب إلى بيته».

«هل هناك من خطأ، يا عنبر»، قالت هيلين.

«لا - ليس هناك من خطأ...» ماذا تقول لها الآن بحق السماء؟.

بدأ على هيلين أنها تقبلت تصريحها أخيراً. «اذا كنت متأكدة... هل مضى عليك وقت طويل وانت تتصلين؟ لقد أحضر سيمون مجموعة من أصدقائه إلى هنا والبيت أصبح مستشفى للمجاذيب».

لاحظت عنبر بأن دايسون ليس له دور في لعبة سيمون. بالطبع من

المحتمل أن يكون قد خرج ليحتفل مع أنثى سفسطائية - هذا التفكير كان بمثابة طعنة لها، لكنها طردت موجة الغيرة التي أصابتها، وهي تعلم أن هيلين تنتظر لتعرف سبب مخابرتها. لم يمض على رؤيتها لهيلين اكثر من خمس ساعات، لذلك فان هيلين ستعتقد الأمر غريباً اذا لم تعطها سبباً وجيهاً.

تأكدت الآن أن دايسون في الخارج، فقالت عنبر، «اني فعلاً أردت التحدث مع دايسون».

«أوه»، بدت نغمة هيلين غريبة، ثم مزقت عنبر تماماً بقولها، «إنه في مكتبه. سأحولك إليه».

«لا!» كانت الكلمة حادة اكثر مما تقصد لأن الهلع انتابها مما ستسأله. «لا - حسناً، كل شيء على ما يرام يا هيلين. انني لا أريد أن أزعجه - سأتصل به مرة أخرى». لكن هيلين فاجأتها بالقول «تحدثي إليه الآن». لكن عنبر قالت لها بسرعة، «ما كان يتوجب علي أن أتصل ليلة رأس السنة. عام سعيد يا هيلين»، وبدون أن تنتظر جواب هيلين، قالت لها، «اراك في المكتب بعد غد». اعادت السماعة وهي مسرورة لأن يوم غد هو يوم عطلة وأنه لن يكون عليها أن تواجه هيلين في الصباح. تأملت أنه بحلول يوم الخميس تكون هيلين قد نسيت أنها انهت مكالمتها بسرعة.

وفيما كانت عنبر غارقة في افكارها، قفزت مرتعبة عندما سمعت جرس الباب الأمامي يقرع. إنه العم جيمس؟ بالتأكيد هو عائد من جولته ومن المحتمل أن يطل عليها لأنه رأى نور سلمها مضاءً، نزلت إلى الباب وهي تبتسم. فتحت الباب واحمر وجهها وتلاشت الابتسامة عن وجهها.

«لقد قالت لي هيلين بأنك تريدين التحدث معي»، قال دايسون وهو واقف على الباب دون أن يبتسم.

«لقد ازعجت نفسك كل هذه الطريق... إن... إن الأمر يمكنه أن ينتظر».

«قالت هيلين أنك كنت منزعجة».

شعرت بأن الليلة باردة وأنها تركته واقفاً عند عتبة الباب، قالت له عنبر، «الأفضل أن تدخل»، أوه يا الهي، لقد تمنت أن تكون لديها الشجاعة لتسأله على الهاتف. كانت نظرة التصميم بادية على وجه دايسون، وهو لم يأت مسافة ثلاثين ميلاً فقط لتقول له بأنه ليس هناك شيء خاص تريد أن تحدثه بشأنه.

أخذته إلى غرفة الجلوس، وقالت له، «إجلس هنا».

«هل لديك شيء للشرب؟» فاجأها دايسون بالسؤال.

«أنا آسفة، كان يجب عليّ أن أعرض عليك شيئاً»، قالت عنبر، وهي تعلم أنها ليست على ما يرام. «عندي فقط شيري».

«ليس لي، بل لك، لأنك لست على ما يرام»، قال دايسون.

«أوه، انني لا أريد أن أشرب»، قالت عنبر عندما جلست لأن ساقيها كانتا ترتجفان.

دايسون الذي لم تفكر أن تراه ثانية موجود هنا في بيتها، وقد أحبته من كل قلبها. إنها تعلم بأنه لا يحبها كثيراً.

«أنا... يا دايسون... أنا...».

«إنك لست بحالة جيدة. ما الذي يزعجك، يا عنبر؟» سألها دايسون، بعد أن انتقل إلى جانبها.

«يا دايسون»، بدأت تقول، وهي تريد أن تعقص أصابعها لكنها

وجدت أنه يمسك يدها بقوة. «يا دايسون ـ تلك الليلة ـ أنت تعلم الليلة التي أعنيها ـ الليلة التي تقابلنا...».

«أكملي»، قال بهدوء.

أخذت عنبر نفساً عميقاً. «تلك الليلة»، قالت وهي تتمنى أن تظل هادئة وهو ينظر إليها، «عندما دخلنا معاً إلى غرفتك ـ ذهبت إلى الحمام وتناولت أربعة أقراص».

«وماذا؟» سأل دايسون.

«أخبرني، يا دايسون سيلفر، ما الذي حدث؟».

رأت عيناه تضيقان فقالت له متوسلة، «ارجوك أن تخبرني. يجب أن أعرف».

«هل تعتقدين بأمانة، يا عنبر نيومان، إنني من ذلك النوع من الرجال الذين يجدون متعة في مضاجعة فتاة غير واعية؟».

«أنت لم تفعل شيئاً؟».

«لا، أنا لم أفعل شيئاً، واشكري ربك على ذلك».

«انني آسفة».

«آسفة! يجب أن تشكري ربك لأنه لم يلتقطك واحد من أولئك الرجال. لو كنت واعية في تلك الغرفة كما كنت في البار، فبدون شك كنت أرغمت نفسي، لكن عندما كنت تتمايلين نحوي ووجهك عابق برائحة الويسكي ابتعدت».

«لكنك أبقيتني في فراشك».

«أنا وضعتك على السرير»، قال مصححاً، واحمر وجهها. «نزعت عنك ثيابك كيلا تتجعد، كما نزعت حذاءك، وقمت ببعض المداعبات الخفيفة، وفيما عدا ذلك لم المسك».

وهكذا عرفت عنبر الحقيقة الآن، وادركت ما قاله لها العم جيمس

عن قوة تلك الأقراص. لكنها لم تكن لديها أدنى فكرة عن الذي أرغمه على البوح بهذه الحقيقة وبدت غير مصدقة. لاحظ دايسون دهشتها.

«هنا يجب أن تضحكي ضحكتك الأخيرة» قال، وكان هناك شيء ما في صوته حوّل انتباهها إليه. «انني لم أخبرك عن تلك الليلة، لأنني - لأنني ذهبت وقمت بشيء ما يعطيك بضع لحظات من التسلية عندما تفكرين فيه. - أنا، يا عنبر نيومان، وقعت في حبك» قال باحكام.

«وقعت في حبي؟» لم تسمعه مباشرة. «أنت قلت بأنك...».

«أنا قلت بأنني وقعت في حبك - نعم، انني أستطيع أن أرى بأنك لا تصدقين. أنا نفسي لم أصدق ذلك - لكن يجب أن يكون هناك سبب يجعلني أشعر فجأة بأنني أميل إلى قتل شقيقي عندما رأيته يمسك بكِ عند أسفل السلم»، أبعد دايسون يديه عنها، وادار وجهه وراح ينظر أمامه.

لم يكن لدى عنبر شك بالاخلاص في كلماته، ومع ذلك لا تصدق بأن ذلك حقيقة. «لقد كنت تشعر بالغيرة من سيمون؟» سألته، وقد ظهر أمامها مهزوماً لأول مرة.

«الغيرة هي كلمة مألوفة لما شعرت به عندما رأيته يخرج من غرفتك في ساعات الصباح الباكرة - لقد أمضيت بقية الليلة في عذاب وبالنتيجة قمت بتعذيبك عندما دخلنا إلى غرفتي. يا الهي، لقد أخفتك كثيراً! أستطيع أن أرى بأنك كنت متحجرة، لكن التفكير بأنك وسيمون كنتما تغيظانني - جعلني تقريباً مجنوناً من الغيرة».

أوه، يا دايسون، انني آسفة»، قالت هامسة وهي تعني ما تقول.

«لا تتأسفي، يا عنبر»، قال بهدوء. «انني لا أستحق أن تحبينني بعد الطريقة التي عاملتك بها».

أدار وجهه ونظر إليها برقة وهو يرقب الدموع تنهمر من عينيها. ومد يده وراح يمسح دموعها عن خديها.

«أنت رقيقة القلب، يا حبيبتي»، قال بصوت ناعم. «انني لم أقصد أن أجعلك تبكين - من الأفضل لي أن أذهب». نهض واقفاً، لكن عنبر أمسكت بيده بقوة.

«أرجوك أن تبقى، يا دايسون».

«لا، يجب أن أذهب طالما لدي القوة للقيام بذلك - انني مشتاق لأضمك بين ذراعي، وأنت، أعتقد، لديك رقة القلب بحيث تسمحين لي بذلك. ربما لا تكرهينني بقدر ما أستحق، يا عنبر - لكن اذا ضممتك بين ذراعي فان قوتي ستخونني، ولن اكون قادراً على تركك - وغداً ستكرهينني».

«لن أستطيع أن اكرهك، يا دايسون».

ابتسامة رقيقة لامست شفتيه. «ستفعلين، يا حبيبتي».

«لا أريدك أن تذهب».

بحزم أطلق يده من يدها. «هذا عذاب حقيقي»، قال واقفاً. «وبقدر ما استحقه - لا استطيع تحمله»، كان قد وصل عند الباب عندما أوقفه صوت عنبر.

«انني أحبك، يا دايسون».

استدار اليها ببطء وهو لا يصدق ما سمعه. «أنت - تحبينني؟» قال مستعلماً، وهو لا يبتسم.

«لقد احببتك منذ تلك الليلة التي دخلت فيها إلى غرفتي - لقد قبلت يدي وعرفت عندئذ - لست أدري كيف، فقط عرفت أنني أحبك. لم أستطع أن أدعك تعلم بأنني غرقت في حبك» قالت له بخجل.

لحظة توتر تلت إعترافها، وراحت تراقبه وهو ينظر إلى وجهها. وفي

اللحظة التالية كان إلى جانبها، وكانت هي بين ذراعيه وفمه يغرف وجهها بالقبلات. «أوه، يا فتاتي الحبيبة»، تنهد وهو يطبق بشفتيه على شفتيها.

عندما افترقت شفتاه عن شفتيها استطاعت أن تنظر إليه وتشاهد الحب في عينيه. «إنه من غير المعقول أن تحبينني بعد كل ما فعلته بك. أوه، يا الهي، عندما افكر بما فعلته بك!» اشتدت ذراعاه حولها، ثم ابعدها عنه وهو لا يبتسم. «هل تتزوجينني؟» سألها، كأن هناك شكاً في جوابها.

«أرجوك» قالت له، ووجدت أن شفتيه تطبقان من جديد على شفتيها، وذراعاه تضمانها إليه بقوة كأنه لا يريد أن يتركها.

«اعتقد انني يجب أن آخذك بين ذراعي، ولن يحول شيء دون أن تصبحي لي»، قال بصوت أجش وهو يخبرها عن مدى تأثير استجابتها عليه. «لكنني فجأة وجدت نفسي نبيلاً - اريدك أن تكوني عروستي العذراء».

«أوه، يا دايسون!» كانت عنبر ترتجف بحيث تراجعت عندما ظهر لها بأنه سيمتلكها تماماً.

«لم يكن هناك من أحد»، قالت بسرعة. «أنا... أنا أعني، انك ستكون الأول... أنا...».

«أنا أعرف، يا حبيبتي»، قال مقاطعاً.

«أنت تعرف؟ لكنني أخبرتك بأنه كان هناك...».

«أنه كان هناك رجال آخرون منذ تلك الليلة في شهر أيلول؟» كانت نظرته مترفعة عندما قال لها «نعم، انني اعرف بأنك قلت لي - لقد اخبرتني ايضاً، اذا لم تخني الذاكرة، أنك لم تمري بتجربة الألم الذي تشعر به فتاة طاهرة عندما...».

«أوه!» تذكرت عنبر بأنها سألته سؤالاً، فاحمر وجهها. «انني لم أكن ذكية، أليس كذلك؟».

«لا، يا حبيبتي، لم تكوني ذكية، وأشكرك على ذلك. لقد كانت شكوكي قد بدأت حولك. ان الفتاة التي تبدو يائسة للذهاب إلى الكنيسة عشية عيد الميلاد لا ينطبق عليها الرأي الذي كونته عنها. ثم كالحمل الوديع اخبرتني، دون أن تعلمي، بأنك لم تذهبي إلى فراش مع أي شخص - على الاقل مع سيمون».

تذكرت عنبر بأن دايسون كان قد أخبرها بأنه لا يدري شيئاً مما حدث بينها وبين سيمون، بدون أن يخبره أحد. «إذن هكذا انت تعرف؟».

مال دايسون عليها وقبّلها برقة. «هكذا أعرف، يا حبيبتي».

شعرت عنبر بالأمان بين ذراعيه وهي لا تصدق بأنه أحبها.

«لماذا لم تخبرني عن - تلك الليلة، يا دايسون؟».

«لم يكن عندي الضوء الكافي حول الموضوع، لكن عندما اكتشفت حقيقتك، اكتشفت أنني احببتك، واردت أن تحبينني بالمقابل، لكنني ادركت بأنني لم أفعل شيئاً لأفوز بحبك. لقد اردت أن أشعر بأنك مرتبطة بي. لقد كنت مستعداً للبدء في خطب ودك، وكنت أستعد للمرور عندك غداً لمعرفة إذا كان بامكانك تناول العشاء معي غداً، ومن ثم كنت سأبدأ حملة...».

«كنت ستحضر عندي غداً؟ لو انني لم أتصل هاتفياً الليلة كنت ستحضر غداً على أية حال؟».

«أوه نعم - لقد خططت لكل شيء. لقد كنت أريد أن أكون نموذجاً للصبر، وتأملت أن تبتدئي برؤيتي بصورة مختلفة».

«أوه، يا دايسون»، قالت وهي تتنهد.

«عندما قالت هيلين أنك تبدين مضطربة على الهاتف، كل خططي للتودد البطيء اتخذت قفزة طائرة. شعرت بأنني لا استطيع القيام بأي شيء سوى أن أعلمك بالحقيقة ـ أن أقول لك كل شيء. ان الله يعلم ماذا كنت سأفعل لو لم تدخليني من ذلك الباب». بدا وجهه شاحباً وهو يتذكر.

«أحبك يا دايسون». قالت عنبر بهدوء، وقد دهشت كيف كان لهاتين الكلمتين التأثير على تغيير ملامحه بسرعة. لأن الشحوب سرعان من اختفى عن وجهه، ونظر اليها بعينين ملؤهما الحب. على مقربة من البيت استطاعت أن تسمع أجراس الكنيسة تدق. أبعد دايسون عينيه عنها لحظة لينظر إلى الساعة ـ كانت العقارب تشير إلى منتصف الليل.

«ان السنة القادمة ستكون أسعد سنة في حياتي» صرح دايسون، وعيناه تمتلئان بالحب لها. «وسيكون أمامنا سنوات عديدة من السعادة، يا حبيبتي». كانت قبلته رقيقة، ومحبة. «عام سعيد، يا أعز عنبر عندي».

«عام سعيد، يا أعز، أعز دايسون»، قالت عنبر بصوت أجش.